



TOPS
1700

الله
بِسْمِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

اللهم اسْبِعْنَا

شمارہ الوداع



ଶତ

لِلّٰهِ الْمُسْلِمُونَ بِحُرْبِهِ

جريدة الطلاق المؤمنة ورقة دعوة لبعث الاندلسي

تصدر في دار العلوم ندوة العلماء - لكهنو - الهند

٢٥٣١
٢٥٥٣

البعلبكي

رئاسة التحرير

مختارني - سعيد العظمي

العدد الأول

المجلد الثاني والعشرون

★ رمضان ١٣٩٧ ★ ★ أغسطس و سبتمبر ١٩٧٧ م

ندوة العلماء

[يقنت لما رأيت مناهج الدرس وكتب الطالبـ إنـدوـةـ العـلـماءـ
أنـ القـومـ ماـشـونـ عـلـىـ الجـادـةـ ، فـلـيـسـ عـنـهـمـ تـفـرـجـ (ـ الجـامـعـاتـ
الـعـصـرـيـةـ) وـ لـيـسـ عـنـهـمـ جـوـودـ (ـ المـعـاهـدـ الـقـدـيمـةـ) وـ لـكـنـهـمـ
يـاخـذـونـ بـالـنـافـعـ مـنـ ثـقـافـةـ الغـربـ مـعـ الحـفـاظـ عـلـىـ
ثـقـافـةـ الـاسـلامـ ، كـالـدارـ الـقـائـمةـ عـلـىـ السـفـحـ ، تـرـفـعـ عـنـ
وـخـامـةـ السـهـلـ ، وـتـنـزـلـ عـنـ وـعـورـةـ الـجـبـلـ ، وـخـيرـ الـأـمـرـ الـوـسـطـ]
على الطنطاوى

محتويات العدد

محمد الحسني

شعاراتنا الوحيدة !
إلى الإسلام من جديد

شعاراتنا الوحيدة إلى الإسلام من جديد

إلى الإسلام من جديد .. فما هناك من طريق آخر ومنهج آخر يكفل السعادة
و النجاح للأمة المسلمة !

إلى الإسلام من جديد .. لأن الإنسانية كلها تحن اليوم إلى شرع الإسلام ،
إنها سُمت و ملت و عافت « الشرائع الصناعية المتحوّلة » التي قامت على الهوى ،
و قصور النظر و ضيق التفكير ، رغم ادعاء العلم و المعرفة و الخبرة الواسعة
و النظر العميق .

و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه ، قال من يحيي العظام و هي رميم ،
إنه تصوير دقيق لانسان القرن العشرين ، تصوير لصفاته و غروره ، و تبجحه
و إنكاره و نسيانه الذات في السباق المادى الطائش .

النهضة الصناعية العملاقة جعلته اليوم أداة حقيرة في ماكينة ضخمة أو مصنع
ضخم ، إنه أصبح علبة في محل تجاري ، أو مساراً في صندوق أو طاحونة يطحن
القمح أو معملاً يسبك النقود ، مع أنه أستاذ في جامعة ، و خبير في مؤسسة ،
أو طبيب في عيادة .

لماذا ؟ لأنه نسي خلقه ، و نسي خالقه ، و نسي هدفه !

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري ١٠
الباحث القرآني الشيخ عبد العزيز العلي المطوع ١٧
فضيلة الأستاذ محمد المبارك ٢٧

العارف الكبير الشيخ وصي الله الفتحبورى ٤٤
فضيلة الأستاذ أمين أحسن الاصلاحي ٤٧
الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله ٥٥

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الكيلاني (باكستان) ٦٤
سعد الأعظمي الندوى ٧٢

الأستاذ واضح رشيد الندوى ٧٩
الدكتور محمد ظهور الحق ٨٨
محمد الحسني ٩٢

على عتبات النور
شاعر المِزمن عمر بهاء الأميري
(فلم التحرير)

★ التوجيه الإسلامي

آخر نعم الله على بني إسرائيل
نظرة في إعجاز القرآن وبيانه
نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع

★ الدعوة الإسلامية

المبادىء التي تضمن الفلاح والازدهار
طبيعة الإنسان طبيعة التوجيد والحب والإيمان
الأسئلة الخاصة بالأسرى في الإسلام

★ اقتصادنا في ضوء الإسلام

الربا و مناطق نفوذه في الحياة و المجتمع
تلهير المجتمع من جميع أنواع الربا

★ دراسات و أبحاث

حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج
آثار ابن عبد البر الفراتي
صور و أوضاع

★ في رياض الشعر والأدب

على عتبات النور
نشاطات علمية و ثقافية

★ شعارنا الوحيد : إلى الإسلام من جديد ★
البعث الإسلامي ★

إنه صار في حاجة إلى هدف .. لأنه سائز بل راكم إلى مصير لا يعلمه
أو يدور في حافة مفرغة لا يعرف منهاها .

وفي كل ذلك لا بد له من العودة إلى الإسلام ، وإلى شرع الإسلام .
وإن ذلك لا يتحقق ما دامت الأمة المسلمة التي ابتعثها الله لهدایة الناس
ضارة بسمها في هذا ، إلى جانب العam ، يانصيب الحيرة والحرارة ، و المنافسة
في حطام الدنيا . التالك على المادة .

إن ذلك لا يتحقق إلا إذا عاد المسلمون إلى الإسلام من جديد ليقدموا قدوة
صالحة ، وأسوة عملية طيبة للقوافل الإنسانية الشاردة .. الحازمة المشدوهة في هدر
الآلة . وضجيج الماكينة ، وضوضاء المدينة ، وبريق الحضارة !
فليكن هتف المسلمين اليوم وشعارهم الوحيد .

• إلى الإسلام من جديد ،
إن وقوفهم في الطريق أو التوائهم أعناقهم إلى شعوب و أجيال كتب الله لها
اتباع هذه الأمة و الأقداء بهديها ، والمسير ورائها معناه صد السبيل عن الله ..
والعودـة إلى الإسلام لاتعني تحقـيقاً صحفـياً في مجلـة ، أو مؤتمـراً ثقـافـياً في جـامـعـة ،
أو كتابـاً رائـعاً في واجـهـة مـكتـبة ، أو خطـبـة هـائـلة على منـبـر الجـمـعـة ، أو قـرـارات رـصـينة
عـنـدـهـائـة اـجـتـمـاع ..

لا ، إنه العودة إلى شرعه حقاً ، و تحكيمه في الحياة الفردية و الاجتماعية ،
و الاقتصادية والسياسية ، في العسر واليسر ، والشدة والرخاء ، والمنشط والمكره .
الشرع الإسلامي بكل ما فيه من تعاليم حكمة ، و توجيهات رشيدة ، و عقوبات
شديدة ، و ما فيه من دفع الضرر ، و مدد الذرائع ، و جلب المذاق ، و صد أبواب
النكر والفتح ، و منفذ البغي و العداون !

★ البعث الإسلامي ★

رمضان ١٣٩٧ هـ ★

معناه ، تحكيمه في الفرد و الأسرة و الجماعة ، و الدولة .

تحكيمه في البيت ، و المتجر ، و المصنع ، و الكلية و الجامعة ، و في دوائر
الحكومة و في المجالس النيابية ، و التشريعية .

معناه .. تهيئة الجو المناسب و المناخ الصالح لتطبيق الشريعة الإسلامية .

ثم تطبيقه تطبيقاً كاملاً على أساس الكتاب والسنة و تجربة الراعي الأول ،
و روح الإسلام ، و متطلبات العصر .

أما ما يتعلق بضرورة إعداد المناخ ، و تهيئة جو لائق و ظروف ملائمة يسون
فيها إجراء الحدود و تنفيذ العقوبات و توقي ثمارها المرجوة فنبحث عنه في مناسبة
أخرى و نكتفي هنا بدراسة قدمتها مجلة أمريكية «الحقيقة الخالصة» (Plain Truth)

الصادرة في ١٩٧٦ م ، و هي تلقي الضوء على أضرار التلفزيون و هو من أكبر
وسائل الفساد بل منابع الفساد في هذا الزمان بلا مراء .

، في الفترة التي ينمو فيها الطفل الأمريكي يتلقى ١٥٠٠٠ ساعة من التلفزيون
مقابل ١١٠٠ ساعة من المدرسة .

و يشاهد عند نهاية دراسة الثانوية ١٨٠٠ مشهدآً من جرائم القتل و الحرق
و التفجير ، و التزوير و التعذيب .

★ يقول الدكتور هارنجتون ، الأمريكي : إن العنف يتعلم بالتقليد ، فالعرض
القصير لجريمة على الشاشة الصغيرة يقوى المسلك العدواني لعدة أشهر .

★ قامت جامعة شمال كارولينا بالولايات المتحدة بدراسة على أطفال الحضانة ،
حيث خصصت أطفالاً لرواية ١١ حلقة من برامج العنف ، و أطفالاً لرواية
١١ حلقة خالية من العنف في نفس اليوم و عند مراقبتهم عن بعد ، وفي أثناء

لبعهم العادى كان الفارق واضحأ في مسلك الأطفال .

★ أوضح الدكتور « جورن » الأمريكي في دراسة له أن تأثير برامج التلفزيون على الكبار أشد خطورة فهى تثير فيهم مسلكاً عدائياً ضد عائلتهم وزملائهم و تجعلهم أقل تسامحاً فيما يتعرض طريقهم من صعوبات .

(مجلة المعرفة التونسية)

إن محاولة إجراء الحدود إلى جانب وجود تلك المؤسسات الاجرامية في المجتمع ، أو إلى جانب استخدام تلك الوسائل البربرية في ترويج الشر و زرع الفساد وإشاعة الفحشاء في الذين آمنوا . ، نوع من التناقض المشين أو لون من النفاق السافر ، أو قسم من أقسام البلاهة السياسية و السذاجة الفكرية .

إنه يجب أن تتغير مع سياسة العقوبات الجنائية في الإسلام سياسة التوجيهات الثقافية والتعليمات الخلقية للإسلام أيضاً ..

بدأ يد ، وصفاً بصف ، على خط واحد ، وعلى خط مستقيم .
وأن هذا صراط مستقراً فاتبعوه ،

لقد حملت الأبناء بشرى الانقلاب العسكري في باكستان ، الذي أفقد هذه البلاد من حروب طاحنة يقتل فيها بعضهم بعضاً .

و حملت بشرى مضاعفة بأن الحكم العسكري الحالى ينوى إقامة الحدود ، مثل قطع يد السارق و قذف الشارب و نحوه ، وقد تكون بذلك باكستان ثانية دولة في العالم بعد المملكة العربية السعودية تقدم على هذه الخطوة العظيمة .. ولعله كان من اللائق المنظر أن تخضى بهذه المرتبة الثانية مصر - بحكم مركزها الإسلامي العظيم - ولكن الله غنى حميد « و إن تولوا يستبدل قوماً غيركم » .

هذه الأبناء السارة نقف عندها وقفه تأمل و دراسة .. إنه حق أن تصدر اللوائح و القوانين ، ولكن إذا أرخينا العنوان للصحافة و فنون الثقافة والإعلام ، و وسائل ترفيه و تسلية تزين الفساد و الخبث و الجريمة في أنظار الجيل الجديد ، في نظر الطفل البريئ ، و المراهق الغر ، و الشاب القوى المتهور .. فان هذه اللوائح و القوانين ، و العقوبات الصارمة لا تحدث إلا فوضى فكرية و صراعاً عاطفياً ، و اضطراباً نفسياً قد يرغسم المسؤولين إلى سحبها و إلغاؤها في بعض الأحيان .

كتب تدفع على الجريمة ، و تزين الجنس و الشذوذ . وأفلام تغذى الفحشاء و تحض على العنف و البوهيمية و اللامبالاة ، و أغنية تنفتح الفساد في الشرايين كالآفاني و الثعابين ، و مسارح و فنون تشكيلية و نوادي ، ومصايف ، ومساج ، و معاهد رقص و تمثيل ونحت .. و فرق غنائه راقصة من بالية إلى عارية تماماً ، و فنادق حمراء هي أشد أنواع البلاء على المجتمع المسلم ، و جماعات من المستشرقين أو الشيوخين الذين حملوا على عاتقهم مهمة التشكيك و إثارة الشباب المسلم على دين الله ، كل ذلك و أخرى دونه تغذية سامة لا ينفع معها الدواء إلا قليلاً .. أو يأتى بالنتائج المعاكسة لا قدر الله .

إننا نحتاج مع هذا الدواء إلى بعض الحمية و الوقاية ، و القبض يد من حديد على من يتاجرون بالمؤونة الغذائية الفاسدة .

نعم ! إلى الإسلام من جديد ..

إلى إسلام الوقاية و العلاج .

و إلى إسلام الغذاء و الدواء ..

★ شعارنا الوحيد: إلى الاسلام من جديد

★ البعث الاسلامي

إلى اسلام متكامل يرتبط كل حلقة منه بحلقة أخرى ..
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

ها و الله سميع عليم !
آه .. لقد انتهت السينات و هي سنوات المزائم و الآلام ، على حد
تعبير الرئيس المصرى أنور السادات .. وكان أول مظاهر هذا الانتهاء
، معركة العبور .

و كانت هذه المعركة في الواقع ، إشارة المرور للشعوب الاسلامية و حكوماتها
أن تعود إلى الاسلام من جديد .

إلى الاسلام من جديد .. في صالح القوى الجريحة المستغيبة في صالح الدماء
الزكية التي أريقت في سيناء و الجولان ، وفي صالح الأمة المنكوبة في شرفها ،
و عرضها و مالها ، وفي صالح التاريخ الرائع الذى كتب فى سجنون مصر ، وفي
صالح الإنسانية التى صدت دونها أبواب المداية و الفلاح ، و الإيهان و النصر .

نعم ! إلى الاسلام من جديد .

إلى الشرف الباذخ و المجد التليد ..

مصدر الحسيني

التوجيه الاسلامي

هكذا يرشد هم الله سبحانه إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم من جلب مرضاته
و عفوه و أخبرهم أنه يغفر لهم خطاياهم إذا امتهوا و يزيد الحسينين الذين يراقبونه
كما يريد مزيداً من التواب والاحسان و لذا قال (نغفر لكم خطاياكم و سنزيد
الحسينين) لأن المحسن الذي يراقب الله يسارع في المزيد من الاعمال الصالحة فيزيد
الله بمحاسنه إحساناً ، ولكن الطبع اليهودي يستعصى على أحسن ضروب التريبة
فقد عصى بعضهم أو أكثرهم و كابر حتى اعتبرهم الله مبدلین للقول الذي قيل لهم
و ذلك أن مخالفتهم لا وامر الله ليست عن جهل يستوعب مزيد تفصيل و لا عن
اشتباه يحتمل التأويل و لكنه مجرد عناد و مشaque ، فكأنهم بهذه الحالة قيل لهم
عكس ما قيل في الحقيقة ، و لذا قال (فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم)
وفي سورة الأعراف (فبدل الذين ظلموا منهم) و هذا يدل على أن المخالفة
لم تصدر من الجميع .

(٥٨) « وَإِذْ قَلَّا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوْمِنْهَا حَتَّىٰ شَسْمَ رَغْدًا وَادْخُلُوا
الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حَطَّةٌ نَعْفُرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ »
(٥٩) « فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلَنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ » هَذَا هُوَ الْإِنْعَامُ التَّاسِعُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَدْ
كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ دُخُولَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَأَنْ يَأْكُلُوهُمْ شَاؤُوهُمْ رَغْدًا، وَذَلِكَ بَعْدَ
نَحْرِهِمْ عَلَيْهِمْ أَرْبَعينَ مِنْهُ يَدْعُونَ فِي الْأَرْضِ لِقَاءَ تَمْرِدِهِمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَجَنَاحِهِمْ عَنْ
قَاتَلَ عَدُوِّهِمْ وَقَوْلِهِمْ لِمُوسَى « إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا » كَمَا سَأَقَى الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي
سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَ(الْقَرْيَةِ) اسْمُ الْمُجْتَمِعِ النَّاسِ مِنْ بَلْدٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، وَشَاعَ
اسْتِعْمَالُهَا فِي الْبَلْدِ الصَّغِيرِ وَلَكِنْ هُنَّا يَقْصُدُ بِهَا الْمَدِينَةَ لَأَنَّ الْقَرْيَةَ لَا يَتِيمُ فِيهَا رَغْد
الْعِيشِ وَهِيَ عَلَى الْأَصْحَاحِ يَسْتَقِدُ الْمَقْدِسُ قَلْبَ فَلَسْطِينِ ذَاتِ الْعِيشِ الرَّغْدِ، وَقَوْلُهُ
سَبْحَانَهُ « وَادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا »، وَهَذَا الْبَابُ لَمْ يُذَكَّرْ أَسْمَهُ وَلَا جَهَنَّمُ، وَقَدْ
قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّهُ الْمَسِيْ (بَابُ الْحَطَّةِ) وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْبَابَ الْمُقْصُودُ فِي الْآيَةِ
هُوَ مَدْخَلُ الْمَدِينَةِ وَأَمَّا كُوْنُهُمْ يَدْخُلُونَهُ سَجْدًا فَالْمَرْادُ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِسُجُودِ الْمُخْضُوعِ لِلَّهِ
وَالْخُشُوعِ وَلَيْسَ السُّجُودُ الْمُعْرُوفُ الَّذِي هُوَ وَضْعُ الْجَمَاهِيرِ عَلَى الْأَرْضِ لَأَنَّ ظَاهِرُ
الْأَمْرِ يَقْتَضِي وَجْوبَ الدُّخُولِ حَالَةَ السُّجُودِ وَقِيلَ هُوَ الرَّكُوعُ اِنْخِنَامًا وَلَكِنْ
الْمُخْضُوعُ هُوَ الْأَقْرَبُ إِظْهارًا لِلتَّوَاضُعِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ طَأْطَأَةُ الرَّأْسِ إِعْظَامًا لِلَّهِ الَّذِي

و من تأمل جميع النعم العشر التي أكرم الله بها بني إسرائيل وجد فيها تربة روحية و معنوية شاء الله أن يرفع رؤوسهم من حضيض الذل والماهنة . وأن يظهر نفوسهم من رواسب الوثنية التي ذأروا بها في مصر وأن يقتلع منها جذور الشرك المتأصلة فيها لطول إقامتهم و لما جبل الضعف عليه من تقليد القوى فانك تجده في أخبارهم مع هرس غرائب الأعاجيب مع ما يتخللهم الله من سوابع نعمه المتراوحة التي لم تتوافر لغيرهم .

فتتجدهم لا يعملون حسنة إلا و يتبعونها بسيئة مع أن هذا خلاف الواقع الانساني المعروف و تجدهم يتذكرون للنعمات أسرع ما كان كا جرى منهم بعد إنعام الله عليهم بمجاوزتهم البحر و إهلاك عدوهم و هم ينتظرون يسألون من موسى أن يجعل لهم إلها غير الله كما سيأتي تفسيره في الآيات ١٢٨ - ١٢٩ فما بعدهما من سورة الأعراف و أحياناً يعبدون بخلاف مصنوعاً من حليهم و أحياناً يقولون لموسى (لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة) و تارة يبدلون قولاً غير الذي قيل لهم و أحياناً يعتقدون في السبت و يتحيلون على الله إلى غير ذلك من أنواع شرودهم عن الحق و تهافتهم على الباطل .

و لذا تجده الله سبحانه و تعالى لم يراع الترتيب في سرد أحوالهم و مواطنهم و تنوع نعمه عليهم لأنه لما كان يريد العزة والاعتبار جعل شأنه لنعمه عليهم متصلة بأسبابها منفصلاً عن أوقاتها ، وقد اعترض بعض أعداء القرآن عليه بعدم ترتيب ما فيه من القصص كتائبه مثلما ذكر الاستسقاء و ضرب الحجر مع أنه كان متقدماً على دخول القرية ، فأجابهم علماؤنا بما تقدم وبأن القرآن لم يقصد التاريخ و سرد الواقع بمواقفها مرتبة لأن هذا قد يخالف لوازم المدحية و الواقع العزة و الاعتبار والقرآن كتاب هداية لا كتاب تاريخ و أقصاص فهو يعني بيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب منها و بيان النعم بعلتها ليحذر منها فكانت طريقة القرآن أبلغ في التذكرة والتأثير .

البعث الإسلامي ★
أبهم اسمه و حقيقته قاتلا . فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السهام بما كانوا
يفسدون ، و فسره البعض بأنه الطاعون ، والأولى أن نسكت و نقف حيث أوقفنا
الله بل تزمرت بأنه عاقبهم برجز ملائم لمعصيتهم و حالتهم .
و في إقامته سبحانه للظهور مقام المصمر في قوله (على الذين ظلموا) تأكيد
لأنه في سورة الأعراف من التبعيض ، وأن المخالفين ليسوا جميع القوم بل
لأنه في سورة الأعراف من التبعيض ، وأن المخالفين ليسوا جميع القوم بل
منهم من لم يخالف ، و من خالف نال جزاءه على نفسه أى خروجه من طاعة الله
و الله أعلم .

(٦٠) و إذ استنق موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت
 منه اثنتا عشرة عيناً ، قد علم كل أنس مشربهم ، كلوا و اشربوا من رزق الله
 و لا تعشو في الأرض مفسدين .

هذا هو الانعام العاشر على بني إسرائيل وهو من أعظم الانعامات عليهم في
 دينهم و دنياه أما الدين فلأن في هذا معجزة عظيمة مشاهدة على وجود الله
 الخالق و عظيم قدرته و سرعة رحمته سبحانه و تعالى حيث بفر لهم ماء كافياً لجميع
 أسباطهم من صخرة صماء يابسة ولو كانت رطبة لما صح في الحساب أن يعتصر منها
 قدر قارورة فكيف وهي يابسة للغاية ، ففي هذا أعظم دليل على قدرة الله الذي
 لا يشك في وجوده إلا الذي هو أضل من البهائم .

وأما كون هذا من أعظم نعم الله عليهم في الدنيا فلأن حياة كل شيء متوقفة
 على الماء خصوصاً البشر بل على الخصوص بني إسرائيل الذين عطشوا في التيه
 وساورهم الجحش و الفرق و أخذوا يتذكرون مياه مصر المتدهمة و يلومون موسى على
 إخراجهم و يتمنون حالة الذلة و الإرهاب لأنهم قد أفسدوا ثباتاً منهم الشهامة
 و الرجولة الصحيحة و ليس عندهم شيء أعز من الماء و لا أفرح لهم بمحصوله منه
 فكانت هذه النعمة عظيمة جداً بالنسبة إلى حالتهم المذلة الخفيفة .

كان من عناية الله بيـن إسرائيل في مجرم من مصر أنه لا يدع للناس عندـهم بحالـا بل يـادـهم بـاغـاثـةـهـ لهم فـانـمـ لـماـ عـطـشـواـ فـيـ الـتـيـهـ وـاستـقـىـ لهمـ مـوسـىـ أـكـرـمـهـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـأـغـاثـهـ بـالـمـاءـ لـكـنـ بـطـرـيقـةـ فـيـهاـ زـيـادـةـ تـرـكـيزـ لـلـعـقـيـدـةـ وـشـيـثـ لـلـإـيمـانـ فـوـهـ سـبـحـانـهـ وـأـغـاثـهـ بـالـمـاءـ لـكـنـ بـطـرـيقـةـ فـيـهاـ زـيـادـةـ تـرـكـيزـ لـلـعـقـيـدـةـ وـشـيـثـ لـلـإـيمـانـ فـوـهـ سـبـحـانـهـ قـادـرـ علىـ إـبـانـعـ المـاءـ مـنـ الـأـرـضـ وـتـشـعـيـهـ لهمـ اـثـنـيـ عـشـرـ عـيـنـاـ وـلـكـنـهـ أـغـاثـهـ بـطـرـيقـةـ فـيـهاـ مـعـجـزـةـ أـبـلـغـ بـكـثـيرـ مـنـ ذـكـرـ ،ـ قـالـ تـعـالـيـ (ـ فـقـلـاـ اـضـرـبـ بـعـصـاـكـ الـحـجـرـ)ـ وـالـعـصـاـ هـىـ عـصـاـهـ المـعـرـوـفـةـ الـىـ يـتوـكـأـ عـلـيـهـ وـالـتـىـ لـمـ شـاءـ اللهـ اـنـقـلـبـ ثـعـانـاـ وـالـعـصـاـ هـىـ عـصـاـهـ المـعـرـوـفـةـ الـىـ يـتوـكـأـ عـلـيـهـ وـالـتـىـ لـمـ شـاءـ اللهـ اـنـقـلـبـ ثـعـانـاـ مـبـيـنـاـ فـلـاـ يـحـوزـ الـاـلـنـفـاتـ إـلـىـ مـاـ قـيلـ فـيـ طـوـلـهـ مـادـامـ الـقـرـآنـ نـصـ عـلـىـ أـنـ يـتوـكـأـ عـلـيـهـ لـأـنـ مـاـ يـتوـكـأـ عـلـيـهـ الـاـنـسـانـ فـوـهـ أـصـفـرـ مـنـ قـامـهـ فـعـلـيـ المـفـسـرـ الـوقـوفـ عـنـ حـدـودـ العـقـلـ وـالـنـقـلـ وـأـنـ لـاـ يـظـلـ بـالـتـعـيـرـ الـقـرـآنـ خـصـوـعـاـ لـأـخـبـارـ إـسـرـائـيلـ تـصـادـمـ النـقـلـ وـلـاـ يـهـضـمـهـ الـعـقـلـ وـكـذـلـكـ الـحـجـرـ الـمـضـرـوبـ لـمـ يـعـيـنـهـ الـقـرـآنـ فـلـاـ يـحـوزـ لـنـاـ أـنـ نـعـتمـدـ عـلـىـ رـوـاـيـاتـ إـسـرـائـيلـ فـيـ وـصـفـهـ أـوـ بـتـعـدـادـهـ أـوـ مـنـشـئـهـ الـمـزـعـومـ مـنـ الـجـنـةـ وـ إـنـماـ يـلـاحـظـ مـنـ نـظـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ أـنـ الـلـامـ فـيـ الـحـجـرـ إـمـاـ لـلـعـدـ أـوـ الـاـشـارـةـ إـلـىـ شـئـ مـعـلـومـ يـعـرـفـهـ مـوـسـىـ وـلـيـسـ لـدـنـاـ مـاـ يـدـلـنـاـ عـلـىـ مـعـرـفـهـ .ـ

وـلـكـنـ بـماـ يـجـوزـ أـنـ تـكـونـ الـلـامـ هـاـ لـلـجـنـسـ فـالـتـفـسـيرـ بـهـاـ أـولـيـ لـأـنـهـ أـبـينـ فـيـ الـحـجـةـ وـأـظـهـرـ لـقـدـرـةـ اللهـ فـكـانـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ قـالـ مـوـسـىـ :ـ إـضـرـبـ بـعـصـاـكـ الـحـجـرـ،ـ أـيـ حـجـرـ تـرـاهـ ذـكـرـ أـنـ مـوـسـىـ لـوـ خـصـصـ حـجـرـأـ مـعـيـنـاـ لـاعـقـدـواـ أـنـ لـهـ مـزـيـةـ وـتـأـثـيرـاـ لـأـنـمـ حـدـيـثـوـ عـدـ بـجـاهـلـيـةـ شـنـيـعـةـ وـكـلـ ماـ كـانـ أـبـلـغـ فـيـ الـأـعـجـازـ وـأـبـعـدـ عـنـ سـوـهـ الـاعـقـادـ فـيـ التـأـثـيرـ فـهـوـ أـولـيـ بـالـتـفـسـيرـ لـأـنـ الـمـقـامـ تـرـكـيزـ إـيمـانـ وـعـقـيـدـةـ وـمـقـامـ تـجـرـيدـ كـامـلـ لـلـتـوـحـيدـ ،ـ وـقـولـهـ تـعـالـيـ (ـ فـانـفـجـرـتـ)ـ مـتـعـقـلـةـ بـمـحـذـوفـ أـيـ فـضـرـبـ فـانـفـجـرـتـ وـلـاـ يـمـتـنـعـ عـلـىـ قـدـرـةـ اللهـ أـنـ يـنـفـجـرـ الـمـاءـ مـنـ الـحـجـرـ بـدـوـنـ ضـرـبـ وـلـكـنـ اللهـ اـخـتـارـ مـوـسـىـ أـنـ يـضـرـبـ زـيـادـةـ كـرـامـةـ لـهـ بـيـنـ قـوـمـهـ .ـ

وـاعـلـمـ أـنـهـ لـاـ تـاـقـضـ بـيـنـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ هـاـ (ـ فـانـفـجـرـتـ)ـ وـفـيـ سـوـرـةـ الـأـعـرـافـ (ـ فـانـبـجـسـتـ)ـ لـأـنـهـ مـنـ اـخـلـافـ الـعـامـ وـالـخـاصـ الـذـيـ لـاـ يـوـجـبـ التـاـقـضـ خـصـوـصـاـ وـفـيـ كـلـ الـآـيـتـيـنـ (ـ قـدـ عـلـمـ كـلـ أـنـاسـ مـشـرـبـهـ)ـ مـعـ الـاـتـفـاقـ عـلـىـ نـبـعـ اـثـنـيـ عـشـرـ عـيـنـاـ لـكـلـ سـبـطـ مـنـ أـسـبـاطـهـ عـيـنـ خـاصـةـ يـشـرـبـ مـنـهـ دـوـنـ مـوـازـاـةـ الـسـبـطـ الـآـخـرـ .ـ

وـالـحـكـمـ فـيـ تـقـسـيمـ هـذـاـ الـمـاءـ عـلـيـهـ لـكـلـ سـبـطـ عـيـنـ خـاصـةـ هـىـ أـنـهـ كـثـيـرـونـ وـمـنـ عـادـةـ الـكـثـيـرـ فـيـ النـاسـ إـذـاـ اـشـتـدـتـ بـهـمـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الـمـاءـ ثـمـ وـجـدـوهـ أـنـ يـقـعـ بـيـنـهـ زـحـاماـ يـوـجـبـ التـشـاجـرـ وـالتـاـحـرـ المـفـضـىـ إـلـىـ الطـاـحـنـ فـاـكـلـ اللـهـ نـعـمـهـ بـهـذـاـ التـقـسـيمـ الـذـيـ جـعـلـ لـكـلـ بـطـنـ مـنـ بـطـوـنـهـ عـيـنـاـ خـاصـةـ لـاـ يـخـتـلطـ مـعـهـ غـيـرـهـ وـبـهـذـاـ لـاـ يـحـصـلـ مـنـ أـثـرـ الزـحـاماـ فـتـةـ بـلـ قـدـ لـاـ تـحـصـلـ بـيـنـهـ مـاـ يـعـتـبرـ زـحـاماـ .ـ

فـالـلـهـ الـذـيـ يـعـلـمـ مـاـ بـيـنـهـ مـنـ التـشـاجـرـ وـقـامـ بـهـذـاـ التـقـسـيمـ لـلـمـاءـ شـرـ قـتـنـةـ مـسـطـيـرـةـ فـضـلاـ مـنـهـ وـرـحـمـهـ وـمـعـ هـذـاـ فـالـقـوـمـ هـمـ الـقـوـمـ .ـ

وـاعـلـمـ أـنـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ لـيـسـ مـعـجـزـةـ وـاـحـدـةـ بـلـ هـىـ خـمـسـ مـعـجـزـاتـ ،ـ إـحـدـاـهـاـ أـنـ نـفـسـ ظـهـورـ الـمـاءـ مـعـجـزـةـ وـكـوـنـ خـروـجـهـ مـنـ حـجـرـ صـغـيرـ مـعـجـزـةـ ثـانـيـةـ وـكـوـنـ خـروـجـ الـمـاءـ عـلـىـ قـدـرـ حـاجـتـهـ مـعـجـزـةـ ثـالـثـةـ وـكـوـنـ خـروـجـهـ عـنـ ضـرـبـ الـحـجـرـ بـالـعـصـاـ مـعـجـزـةـ رـابـعـةـ ،ـ ثـمـ انـقـطـاعـ الـمـاءـ عـنـ الـاستـغـانـهـ عـنـهـ مـعـجـزـةـ خـامـسـةـ ،ـ فـهـذـهـ مـعـجـزـاتـ حـصـلـتـ بـقـدرـةـ اللـهـ التـامـةـ وـمـشـيـتـهـ النـافـذـةـ فـيـ الـكـائـنـاتـ وـحـكـمـهـ الـعـالـيـةـ عـلـىـ الـأـزـمـانـ وـالـدـهـورـ وـمـعـ هـذـاـ فـاـنـ مـعـجـزـةـ نـبـيـنـا مـلـكـهـ فـيـ نـبـعـ الـمـاءـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ أـقـوىـ لـأـنـ بـيـنـ نـبـعـ الـمـاءـ مـنـ الـحـجـرـ مـعـهـ دـوـنـ ضـرـبـ وـلـاـ مـعـهـ وـقـدـ ضـاقـ الـمـاءـ بـأـصـابـعـهـ فـيـ بـعـضـ الـغـزـوـاتـ فـوـضـعـ يـدـهـ الشـرـيفـةـ فـيـ مـوـضـعـهـ فـقـارـ الـمـاءـ مـنـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ حـتـىـ تـوـضـؤـواـ جـمـيعـاـ فـلـاـ شـكـ أـنـ مـعـجـزـتـهـ مـلـكـهـ أـكـبـرـ .ـ فـاـنـ قـالـ قـائـلـ كـيـفـ يـعـقـلـ خـروـجـ الـمـاءـ الـكـثـيـرـ مـنـ حـجـرـ صـغـيرـ أـوـ خـيـرـةـ مـنـ

في رحاب القرآن الكريم :

نظرة في إعجاز القرآن وبيانه

الباحث القرآني الأستاذ عبد العزيز العلي المطوع

القرآن العظيم : آخر الكتب السماوية ، نزل على خاتم رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين ، و هو المعجزة الكبرى ، و النعمة العظمى ، التي أنعم الله بها على عباده إلى يوم الدين ، و هو المرجع الأكبر لهم في شئون دينهم و دينهم ، الصالح لكل زمان و مكان ، و لكل عصر ومصر ، و حسينا فيه ما وصفه الرسول الكريم به حيث قال : « كتاب الله فيه بما من قبلكم ، و خير ما بعدكم ، و حكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بال Hazel ، من تركه من جبار قصمه الله ، و من ابتغى المدى في غيره أضلله الله ، هو حبل الله المتين ، و نوره المبين ، و الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، و لا تلتبس به الألسنة ، و لا تتشعب معه الآراء ، و لا يشيع منه العداء ، و لا يملأه الاتهام ، و لا يخلق على كثرة الرد ، و لا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنتهِ الجن إذ سمعته أن قالوا « إنما سمعنا قرآنًا عجائبًا » من علم عليه سبق ، و من قال به صدق ، و من حكم به عدل ، و من عمل به أجر و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » الترمذى . جاء القرآن الكريم مصدقاً لجميع الكتب السماوية من قبله و ميرينا عليها ، فقد قال سبحانه في سورة المائدة : « و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب و ميرينا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجاً و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن

بين أصابع الإنسان ؟ قلنا له أولاً هل تسلم بوجود الرب الفاعل المختار قادر على كل شيء و الذي لا يستعصي عليه أي شيء ؟ فإن اعترف بوجوده و بعظمته قدرته فقد زال ما عنده في الأشكال وإن لم يعترف فلا فائدة في جدال كافر استحب العماية عن رؤية الحق و إلا فهو أرجع بصره و أعمل تفكيره في الكائنات لاهتدى إلى خالقه و موجده الذي لا يصعب عليه شيء و قوله تعالى (قد علم كل أنس مشربهم) فهذا بتعين من الله تعالى على يد موسى لكل سبط عيناً من العيون لأنى عشر يختص بها دون ما سواه حتى لا تقع المزاحة المفضية إلى التشاحن و الفتنة . و هذه من بعض رحمات الله و لطفه بهم كما أسلفناه ، و قوله سبحانه (كلوا و اشربوا من رزق الله) امتنان عليهم و إباحة لهم أن يأكلوا من المان و السلوى و يشربوا من هذا النبع المشبع بعدد أسباطهم ثم قال : (ولا تعثروا في الأرض و يشربوا من هذا النبع المشبع بعدد أسباطهم ثم قال : (ولا تعثروا في الأرض الافساد تحملت كلية (فلا تعثروا) لأن ما يحرى منهم من الفساد ليس عن اجتهاد و حسن نية بل هو فساد مقصود عن رغبة و تصميم .

والعبرة من تذكر الله لهم هذه النعم العشر العظيمة وسردها هي أن يبين الله لنا و لأحفادهم طبيعة أنفسهم الهابغة و خسنتها في مقابلة النعم و كون الحرية التي وهم الله ليس لها عندهم وزن و الرسالة التي أكرهم الله بها ليس لها قيمة لأنهم أنفوا تكاليف العزة و بخلوا بدفع ثمن الحرية و الكرامة ولم تشمخ رؤوسهم بحمل رسالة الله بل لم يستطيعوا ترك مألفاتهم البهيمية كايقص علينا خبرهم في الآية المقبلة .

« يتبع »

★ البعث الإسلامي

لليوم فيما آتاك فاستبوا الحيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه مختلفون ، الآية ٤٨) .

★ نظرة في إعجاز القرآن و بيانه

و القرآن العظيم أنزله الله حكماً ثم فصلت آياته ثم ازدادت تفصيلاً و بياناً بقدم العلم و تطور الزمن لأنه منزل بعلم الله الذي له ما في السماوات والأرض : و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ،

وأقد قال جل شأنه في الآية الأولى من سورة هود : « الو . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وقد جاء في الآية (١٧) من سورة هود ما يضيف إلى هذه الآية بياناً جديداً و ذلك فيما يظهر من قوله سبحانه « أفن كان على يينة من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتاب موسى إماماً و رحمة » .

و البينة هي النور المبين و القرآن العظيم ، و يتلوه أى يتبعه شاهد لما يظهر من تفصيل ما أحكم من آيات كتاب الله ، ويكشف عنه العلم كلها تقدم ، أما الشاهد قبله فهو كتاب موسى إماماً و رحمة ، وفي الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة القيامة « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه و قرآننا ، فإذا قرأناه فاتبع قرآننا ، ثم إن علينا بياننا » .

و في الآية ٣٨ من سورة الأنعام : « و ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممأ مثلكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ، كما جاء في الآية ٤٩ من سورة الأنعام : « و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو ، و يعلم ما في البر والبحر ، و ما تسقط من ورقة إلا يعلمه ، و لا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وفي الآية ٨٩ من سورة النحل : « و يوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ، و جئنا بك

★ البعث الإسلامي

رمضان ١٣٩٧

شهدأ على هؤلاء ، و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، و هدى و رحمة و بشرى للسلميين .

و جاء في الآية ٢٨ من سورة يوسف : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، و لكن تصديق الذي بين يديه ، و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين .

و في الآية ٧٥ من سورة النحل : « وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين . و في مستهل سورة يوسف : « الر . تلك آيات الكتاب المبين ، إينا أنزلناه قرآننا عريضاً لكم تعقولون . و في الآية ٥٢ من سورة الأعراف : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة لقوم يؤمنون .

وفي الآية ٥٣ منها : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ، يقول الذين نسوه من قبل قد جامت رسول ربنا بالحق قيل لنا من شفاعة فيشفعوا لنا ، أو نرد فعل غير الذي كنا نعمل ، قد خسروا أنفسهم و ضل عنهم ما كانوا يهترون .

و في الآية الثانية من سورة فصلت يقول سبحانه : « كتاب فصلت آياته قرآننا عريضاً لقوم يعلمون . و في الآية ١١١ من سورة يوسف : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الآلباب ، ما كان حدثاً يهتري و لكن تصدق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء ، و هدى و رحمة لقوم يؤمنون .

يتضح لنا من الآيات المتقدمة أن القرآن العظيم منزل بعلم الله ، و أن فيه تفصيلاً لكل شيء ، و تبياناً لكل أمر ، و هذا التفصيل يأتي تأويله تباعاً في أوقاته كاً تفتح البراعم في مواسها بحدائق البصائر النيرة ، وبفعل النظارات المخلصة ، والتفكير الموفق في النفوس المؤمنة ، و الأفئدة المستعدة للنور ، و الأجهزة المستقبلة للخير في مختلف الأزمنة والأمكنة و آيات الله تحيث الإنسان على التفكير و التبصر والنظر

البعث الإسلامي
مع بعد عن التكليف في الرأي أو التعجل به قبل أوان الفتح و تفصيل الآيات
لقوم يعلمون . . .
ولقد جاء في سورة فصلت : « سريرهم آياتنا في الأفاق و في أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق أعلم كيف يربك أنه على كل شئ شهيد » (الآية ٥٤ من سورة فصلت)
وجاء في سورة الواقعة : « فلما أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلموه عظيم .
إنه لقرآن كريم . في كتاب مكون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيل من رب
العالمين ، (الآيات ٧٥ إلى ٨٠) .

و لعل الذي يظهر من جواب القسم أن بين دقي هذا القرآن العظيم المنزل
من رب العالمين مكونات من العلم كثيرة تجدد مع تقدم المعرفة في مسيرة الزمن
و أنه لا ينافي معه لاستخراج هذه الكنوز المكونة إلا المطهرون ، و لعل بيان
هذا الطهر جاء في جواب المصطفى عليه السلام عند ما سُئل عن الراسخين في العلم و هو :
« من طهرت سيرته و حسنت سيرته و عف بطنه و فرجه ، وأن المقصود من هذا
الحديث فيما يظهر أن يكون الإنسان وعاماً ظاهراً نظيفاً لاستقبال الفيض . و حمل
أمانة العلم في الوقت المناسب : « و اتقوا الله و يعلمكم الله » .

والقرآن العظيم هو كتاب الزمن ومأدبة الله الخالدة ، مصداقاً لقوله سبحانه :
« وما أرسلنا إلا رحمة للعالمين » و قول المصطفى عليه السلام « أنا رحمة مهداة » و قوله
« القرآن مأدبة الله في الأرض فخذوا من مأدبة الله ما تستطعتم » .

وفي الأثر أن الرسول عليه السلام لما نزلت الآيات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ من سورة
الأنعام وهي : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت
أرجلكم أو يلبسكم شيئاً و يذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نفصل الآيات لعلم
يفقهون » إلى قوله سبحانه : « لكل نباً مستقر و سوف تعلمون » قال : إنها ،

آتية ولم يأت تأويلاً لها بعد ، ولعل هذه الحروب من تأويلاً لها ، فالطارات من فوق ،
و الألغام من تحت ، و الحروب المذهبية و الحزبية قائمة بين الأخ وأخيه في جميع
أنحاء العالم ، و ما تلك الأنبياء إلا من إيجاز القرآن العظيم و إخباره عن المستقبل ،
و قد كان السلف الصالح يتورع عن التكليف خشية استعمال المعنى قبل الأوان وقد
وعد الله سبحانه بيانيه بعد الوعد بحفظه في بعض آيات من سورة القيمة وقد
تقدم ذكرها .

و مما يؤثر عن أبي بكر الصديق أنه سُئل عن حرف من القرآن فقال رضي الله
عنه : « أى سماء تظلني ، و أى أرض تقلنني ، و أين أذهب ، وكيف أصنع ، إذا
قلت بحرف من كتاب الله في غير ما أراد الله » .

و مثل على بن أبي طالب كرم الله وجهه : هل خصم الله بشيء من القرآن
أهل البيت ؟ قال « لا ، إلا فهنا أوطأه رجل في كتاب الله » .

و يقول سبحانه : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ، تكرر ذلك
في سورة القمر ، ويقول سبحانه : « و لقد يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون » سورة
الدخان (الآية ٥٨) - و جاء في سورة الأنعام : « قد جاءكم بصائر من ربكم
فنأبصر فلنفسه ومن عني فعلتها وما أنا عليكم بمحفيظ . و كذلك نصرف الآيات
و ليقولوا درست و لنبيه لقوم يعلمون » (١٤ ، ١٠٥) و لعل مما يظهر من
هاتين الآيتين وما قبلهما من السورة نفسها أن المتقدمين من العلماء في العالم سيقولون
بعد ما يستبين لهم الأمر : حقاً لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية فسبقت مدرستك
جميع المدارس بل فاقتها : « و ما ذلك على الله يعزير » .

« أفلأ يتدبرون القرآن أم على قلوب أفقاطها » (الآية ٢٤ من سورة محمد)
« أفلأ يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »

و غالباً ما يقيد المفسر نفسه بما سبقه من تفاسير محملة المسؤولية في ذلك لغيره و ربما كان ذلك خشية الرد عليه و فقدان مكانته بين الكثرة الغالبة في المجتمع و ربما أدى ذلك إلى قطع رزقه ، و معروف أن الأقوال القديمة لها استقرارها في الأذهان على ما قد يكون فيها من غريب و دخيل وقد يذهب البعض إلى ما يظنونه تماكيناً لاعني فيؤيدون ما يفسرونه بذات من الشعر قد يرصونه رصا يحشرون معنى الآية فيه حسراً أو بأحدوتها من الإشارات أو غير ذلك مما قد يشغل أغلبية القراء عن التفكير في سمو المعانى القرآنية وأهدافها الكريمة و أسلوبها الرصين ، راضين بهذا الحشو الغريب عن مفهوم السلف الصالح و ورعين .

ثم إننا في عصر العلم و عصر العلم مدعوة لاستخراج الجديد من كتاب الله نعلم الدنيا أن كل جديد في العلم إنما هو كشف عن بعض مكونات هذا الكائن و قد كان رسول الله ﷺ لا يستعجل بيان القرآن و لا يتكلف فيه و هو الذي نزل عليه القرآن وهو الظاهر الأمين الذي هو أول الناس بالازدياد من العلم ، و ما يدل على عدم تكلفه ﷺ في معانى كتاب الله و تركه الأمر للزمن وللأذهان المفتوحة أمر الله سبحانه خاتم رسليه في ختام سورة (ص) « قل ما أسلكم عليه من أجر و أنا من المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين . و لتعلمن نبأه بعد حين » و قوله ﷺ من سمع مني مقالة فليبلغها كما سمعها رب مبلغ أوعى من سامع »

و ما دام القرآن العظيم هو المنزل بعلم الله و الأسرار العلمية التي يحاول اكتشافها العلماء هي من علم الله فلا بد من يوم يعلم فيه الذين آمنوا بالعلم أن القرآن الكريم قد سبّقهم إلى الآباء بهذا الكشف فيعودون إلى فطرة الإيمان بالله واحد ماله للكون و هو من عليه ، و تصحو روح الخير فيهم و يستيقظ يقظتهم الحيارى و المتشككون وكل منحرف عن الطريق الأقوم ، فيظلون على الحقيقة من النافذة التي أطل منها من آمنوا قبلهم فتبادر الأفكار الشاردة و الآراء المتأثرة بالعصبية بها و قد قيل : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

★ البعث الإسلامي ★
﴿ الآية ٨٣ من سورة النساء) ، يا أيها الناس قد جامكم برهان من ربكم و أنزلنا إلينكم نوراً مبيناً ، (الآية ١٧٤ من سورة النساء) .

إن كتاب الله العظيم هو دستور الزمان و نوره و مرجع الناس إلى يوم القيمة و هو معين العلم تهل منه النفوس العطشى إلى المعارف و العلوم و تتطلب المزيد من معينه الصافى الذى لا ينضب .

إن طالب العلم هم لا يشع من سلسلة و خضم العلم أمام طالبيه واسع الجنبات متراى الشيطان ، متراحم الموج ، عذب المورد ، والله سبحانه يقول : « و ما أورتكم من العلم إلا قليلاً ، و لا يخفى ما في ذلك من التشجيع للإزيداد و ما أورتكم من العلم إلا قليلاً ، و قل رب زدني علماً » .

و قد كان رسول الله ﷺ لا يستعجل بيان القرآن و لا يتكلف فيه و هو الذي نزل عليه القرآن وهو الظاهر الأمين الذي هو أول الناس بالازدياد من العلم ، و ما يدل على عدم تكلفه ﷺ في معانى كتاب الله و تركه الأمر للزمن وللأذهان المفتوحة أمر الله سبحانه خاتم رسليه في ختام سورة (ص) « قل ما أسلكم عليه من أجر و أنا من المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين . و لتعلمن نبأه بعد حين »

و قوله ﷺ من سمع مني مقالة فليبلغها كما سمعها رب مبلغ أوعى من سامع »

على أن جانباً من المؤخرین قد أطلقوا أقلامهم بنفاسير مطولة لا تخالو من تخلف متعاقب و نقل مكرر ، وجاء بعضها كموسوعات كبيرة ومفيدة في أمور كثيرة غير التفسير ، و إذا كانت بعض آيات كتاب الله تشتمل على ما جاء في بعض هذه التفاسير فانها لا تقيّد بها و حتى أسباب التنزيل تشتمل عليها الآيات دون التقييد بها و قد قيل : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

دكتسم خير أمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وترهنون بالله ، الآية ١١٠ من سورة آل عمران . وفي الآية ٦٤ من سورة النمل قال جل شأنه : « و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيان لهم الذي اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يؤمنون » . وفي الآية ٢١٢ من سورة البقرة : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله الذين مبشرين و منذرين و أنزل ممّهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و ما اختلف فيه إلا الذين أوتواه من بعد ما جاءتهم evidences بغيرها ، فهذا الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

و القرآن العظيم كثيراً ما يطلب إلى الجميع التفكير و التبصر و التدبر في الآيات و فتح القلوب ، و عندها تفيض المعانى العظيمة منها على الألسنة و الأفلام المؤمنة فتذطلق رسلاً و كتبها إلى العالم أجمع في مختلف أحواله و عصوره ، و في هذا نشر لرسالة الحق و السلام ، و بعث نور الهدایة المحمدية إلى الدنيا بأسرها ، ليخرجها من الظلمات إلى النور ، قال سبحانه : « إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات يهديهم ربهم بما يمانهم » الآية ٩ من سورة يونس . والإيمان هو الهدف الأول وهو وسيلة الهدایة التي هي المرحلة التالية بعد الإيمان و العمل الصالح مصداقاً لقوله سبحانه : « و إني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى » الآية ٨٣ من سورة هود . و قوله سبحانه : « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » الآية ١٦ من سورة المائدة : « و الذين جاهدوا فينا لنهدىهم سبلاً و إن الله لمع المحسنين » الآية ٦٩ من سورة العنكبوت . و لقد جاء في الآية ١١ من سورة التغابن : ومن يؤمن بالله يهد قابه و الله بكل شيء عليم .

البعثة الامبراطورية
الموروثة و المعتقدات المشعية حول هذا الكتاب الخالد المنزل بعلم الله الذي يعلم
الحب في السماوات والأرض و الذي سجل فضل العلماء بقوله سبحانه : « قل هل
يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » و إن آيات كتاب الله في فضل العلم
لكثيرة ، كما ورد عن المصطفى عليه السلام الكثير في فضل العلماء على الناسك أذكر من
ذلك قوله عليه السلام : « لغدوة أو روحة في سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفاً »
وفي الأثر عنه عليه السلام : « من تساوى يوماه فهو مغبون » و يفسر هذا الحديث
حديث آخر عنه عليه السلام : « إذا طلع على يوم لا أزداد فيه علمأً يقربني إلى الله
فلا يورك لي في شمس ذلك اليوم » .

و حبذا لو نفع ما لدينا من تفاسير و استخراج منها ما هو دخيل و غريب
ثم ركز على ما يظهر من مفاهيم كتاب الله دون تكلف أو تزمر سبيلاً ما ظهر
حتى اليوم من علوم تؤيد ما ورد في كتاب الله و شرحت في إطار العلوم الثابتة
دون الجنوح إلى التشكيك في أثر القديم وفضله ، و لا إلى التثبت بالجديد و روائه
أخذ كتاب الله و سنة رسوله حكماً و فصلاً في ذلك .

وكان في الكتاب العظيم مسبباً لكل علم فان فيه حل كل الخلافات المذهبية
في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وغير ذلك ، قد يبدأ وحديثاً ، وأنه
الوسط بين اليمين واليسار وكذلك كانت الأمة التي نزل عليها هذا الكتاب وفي
موقعها الجغرافي أيضاً لتكون في الذروة المرموقة وفي موضع الحكم بين الناس ، قال
جل شأنه في سورة المقرة : « و كذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على
ناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » الآية ١٤٣ .

فَادا مَا امْرَتُ الْأُمَّةَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْعَرْفُ عَنِ إِيمَانِ
بِاللَّهِ وَتَصْدِيقُ بِكَلِمَاتِهِ ، كَانَتْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرَجَتْ لِلنَّاسِ مُصَدَّاقًا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ :

مِحْصَنَاتُهُ إِسْلَامِيَّةٌ

لِعِلْمِ الاجْتِمَاعِ

الأستاذ محمد المبارك

منهج البحث في علم الاجتماع :

إن منهج علم الاجتماع في بحث الظواهرات الاجتماعية نفسها معرض ل الكثير من الأخطاء في النتائج ، يمكننا أن نستعرض المواطن التي يتسرب منها الخطأ .

(ألف) الهدف و الغاية . لابد لكل بحث اجتماعي من هدف قصد إليه الباحث في نفسه أو وجه إليه من جهة من الجهات لها رغبة في تحقيق هذا الهدف . تعمد بعض الحكومات إلى التقليل من عدد السكان تخفيفاً من أعبانها فتجوّه الباحثين الاجتماعيين أو تصطنع عدداً منهم ليزبّنوا فكرة تحديد السل بطريقة يعطونها الصفة العلمية . و يريد بعض الباحثين أن يقنعوا الناس بالحرية الجنسية فيجدون أنفسهم وتلاميذهم بحوث يريدون أن يصلوا منها إلى أن الارتباط بالزواج أمر آخذ بالتطور نحو الزوال وإنه من صفات أطوار معينة تمر بها البشرية ، وهكذا يزيّنون الإباحية باعتبارها مرحلة المستقبل و إن حتمية التطور تؤدي إليها . وهذه الأغراض الخبيثة تخنق على أكثر الناس من خلال البحوث و يحسنون الظن بهؤلاء الباحثين بسبب انقسامهم للعلم و دوائره مع أنهم من أنواع المجرمين المستعينين المستأجرين مثل هذه الأغراض . و كثيراً ما استأجرت حكومات الاستعمار علماء من بلادها لأغراض استعمارية كثبات أن البحر الأبيض بحيرة أوربية وأن أفريقيا

كذلك يجب القرآن الكريم أن يقوم كل بدوره دون تقصير أو كتمان ، حيث حرم الله الكتمان في كتابه . و إن لاكتفى في هذا المجال بذكر ما ورد في سورة البقرة في الآيتين ٦٠ ، ١٥٩ : « إن الذين يكتومون ما أنزلنا من البيانات ، و الهدى من بعد ما ديناه للناس في الكتاب أولئك يلعنة الله و يلعنة اللاعنون ، إلا الذين تابوا و أصلحوا و يبنوا فأولئك أتوب عليهم و أنا التواب الرحيم » . و إن من يوفق للإيمان و الهدى كمثل المشكاة الصالحة المتصلة بالتيار تستمد النور و تشعه لذوى الأ بصار فتبدل ظالمهم نوراً .

ومرة أخرى أقول إن القرآن العظيم حلقات متراسكة يفسر بعضه ببعضه بعضاً ويمكن أن تكون الفاتحة عنواناً له وواسطة لعقده ، بحيث يمكن أن يلتقي طرفاً القرآن العظيم عند سورة الفاتحة (و الطرفان هما سورة البقرة و سورة الناس)



حقائق علمية أو نظريات مسلمة مقبولة وقد تقابلها بحقائق الإسلام الثابتة وأحكامه الصحيحة فنونهم في الشك في الحقائق الثابتة ليحل محلها أباطيل وأخطاء وتشويهات.

و يتبع ما تقدم أن علم الاجتماع ميدانه الخاص الذي لا ينبغي أن يتجاوزه وهو واقع المجتمعات البشرية في حدود كونها عالماً مشهوداً يمكن ملاحظته واستخراج خصائصه وقوانينه حركته و تبدلاته كما يدرس الطبيعة علماؤها المتخصصون - ولاشك فيفائدة هذا العلم و بحوثه ما دام في حدوده المحدودة له . و قد اشتغل به العلامة المسلمين سابقاً بل جاموا فيه بما لم يسبقوا إليه ، نذكر منهم البروفى والمسعودى وابن خالدون الذى بلغ فيه قمة من القمم فى تاريخ هذا العلم .

ولكن علم الاجتماع على ما هو عليه حالياً في جامعات الغرب في أوروبا وأمريكا لدى الديمقراطين والاشتراكين أصبح مزيجاً من مباحث علمية مفيدة ومناهج للبحث والتحقيق مضافاً إليها نظريات متفاوتة في قيمتها يتخلل ذلك كله عقائد باطلة ومفاهيم منحرفة و قيم زائفه تخالف كل المخالفة لحقائق تومن بها و قيم نعتقد أنها صالحة للتمسك بها يجمعها الإسلام .

لذلك كان لا بد للاستفادة مما في علم الاجتماع من جوانب مفيدة نافعة من إعادة بنائه بناء صحيحاً على أساس سليم ليوضع في مكانه حيث في إطار النظام الإسلامي للتعليم أي من منطلق الصور الإسلامية للوجود للطبيعة والآنسان و المجتمع الانساني

ونعتقد أنه إذا تم بناء علم الاجتماع على هذه الأساس آتى تأثير هامة ومفيدة للإنسانية بوجه عام لصحة المذاهب والأسس وسلامة الأهداف وجود الضوابط الأخلاقية المرتبطة بقيم سامية و هي مفيدة و منتجة بالنسبة للشعوب الإسلامية كلها لانسجامها مع شخصيتها و تجاذبها معها و موحدة لهذه الشعوب لوحدة الأسس التربوية

امتداد لأوربا وإنها قارة واحدة في الأصل سوها Europique وإن سكان الجزائر من العرق الأبيض الأوروبي .

(ب) شخصية الباحث . من الصعب جداً في البحث الاجتماعية أن يتجرد الباحث من أفكاره و عواطفه و أهوائه الشخصية و من تأثير بيته حتى ولو كان في نفسه مستقيماً أميناً خلافاً للعلوم الطبيعية و ذلك لصلة موضوعات بحثه بأمور هي بالنسبة إليه موضع حب أو كره أو نفع أو ضرر أو موافقة أو خالفة . و لكل باحث أفكاره و عواطفه و عصياته و أهواؤه . إن من الصعب جداً أن يتجرد أوربي يدين بالكاثوليكية و يتغصب لها ولا سيما في زمن كان شعبه يستعمر شعراً آخر مختلف عنه قومية و دينياً و ثقافة في بحث موضوعه يمس هذه المصيّبات .

أضف إلى هذا أن الباحثين لا يتمتعون جميعهم بالاستقامة والأمانة التي يستوجبها البحث العلمي وقد تحدث عن مثل هذه النماذج السيئة كاماً ستانيسلاس انديرسكي Stanislas Anderski في كتابه «Social Sciences assocery» وهو مترجم إلى الفرنسية (منشورات .)

(ج) وفي مراحل جمع الظواهر الاجتماعية أو اختيارها و عزلها عن غيرها و تصنيفها ثم في ربطها بعضها البعض لتعليلها و تفسيرها مجالات كثيرة للوقوع في الخطأ المقصود و غير المقصود .

و إذا كان البحث في شعب بعيد في حضارته عن شعب الباحث فكثيراً ما يقع في سوء فهم في تفسير الظواهر لجهة لهذا الشعب . ويعرض الباحث عامة للخطأ بسبب تعدد الحوادث الاجتماعية وتشابك العوامل والظروف وتعدد الاحتمالات في تفسيرها . و لذلك كان من الخطورة بمكان أن تلقى تأثير بحوث علم الاجتماع الغربيين للطلاب المسلمين مع ما قد يكون فيها من أخطاء ، و انحرافات أو تشويهات على أنها

الثقافية و القيم الأخلاقية ومدة لشعوب الأخرى ومن جملتها الشعوب الغربية بلون جديد في البحث الاجتماعية بجمعه فروعها .

نحو تأسيس علم اجتماع إسلامي :

في ضوء ما نقدم من استعراض لعلم الاجتماع في وضعه الحالى وصياغته الغربية المتعددة ، و ما اشتمل عليه من أقسام يمكن أن نصفها أنها علمية و مناهج للبحث المتعدد ، و طبقة المستكبرين أو المستضطعين أو الضعفاء ، وقد يمكن قبولها مبدئياً مع الحذر من الواقع في خطأ تطبيقها ومن أقسام أخرى ليست في الأصل من اختصاص علم الاجتماع و ما اشتملت عليه من نظريات و مفاهيم عقائدية أصلت بها العلم و أفحمت في مباحثه أقول في ضوء هذا التحليل يمكن أن تقترح أساساً و توصل قواعده منهجية لعلم اجتماع جديد في إطار التصور الإسلامي كوضع علم الاجتماع الغربي في إطار التصور الغربي و فلسفته . و فيما يلي عرض هذه الأفكار الأساسية :

١- يشير القرآن إلى الطبيعة الاجتماعية الإنسانية باستمرار كما يشير إلى الطبيعة العامة التي هي أشمل منها وأعمى إلى عالم الجناد و النبات و الحيوان بأجزائها و أنواعها و حوادثها . فنكا يتزدّد في القرآن ذكر الأرض و الكواكب و أجزاء الأرض من البر و البحر و الجبال و السهول و الانهار و الأودية و الزروع و النباتات والثمار و الفواكه و الانعام و الدواب و سائر أنواع الحيوان و الحديد و الفضة والذهب وغير ذلك ، يتزدّد أيضاً ذكر الأمم و الأقوام و الشعوب و القبائل و العشيرة و الأزواج من أنواع التجمعات البشرية .

٢- وكذلك يشير القرآن إلى الحوادث و الظواهر الاجتماعية كما يشير إلى الحوادث الطبيعية كترابك السحب و نزول المطر و سقابة الأرض و نمو النبات و اختزان الماء لتكونين البنابع و تحت الأرض و نقصانها و أمثال ذلك . يذكر

القرآن أمثلة من الظواهر الاجتماعية كظاهرة التقليد (١) و الترف (٢) و الظلم و الاستبداد في الحكم و الاجرام و عبادة الأوثان و الكواكب و تقدير الحيوان و عبادة الأرواح من الملائكة و الجن و وأد البنات و احتقار المرأة و تطفيق الكيل و الميزان و استغلال المستغلين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل و إلى ظهور الطبقية و امتيازاتها في المجتمع كطبقة رجال الدين « اتخذوا أجرارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله » « إن كثيراً من الأجرار و الرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » و طبقة المتكبرين أو المستكبرين و طبقة المستضطعين أو الضعفاء ، و تردد ذكر هؤلاء و أولئك بضع عشرة مرة ، و يشير الحديث النبوى كذلك إلى كثير من الظواهرات الاجتماعية و يستعمل كلمة (فشا) أو (ظهر) للدلالة على عموم الظاهرة و انتشارها (ما فشا الرزق في قوم إلا كثُر فيهم الموت) كاشارة إلى ظهور الطبقية و التمييز الطبقي في بنى إسرائيل في قوله (إنهم كانوا إذا سرق فيهم الضعف أقاموا عليه الحد و إذا سرق منهم الشريف تركوه) يشير القرآن إلى حوادث اقتصادية كالربا و تطفيق الكيل و الميزان و تسجيل الديون و إلى نظم الحكم : حكم الشورى في مملكة بلقيس « قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرآ حتى تشهدون » و حكم فرعون الاستبدادي « إن فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيئاً يستضعف طائفته منهم .. و إلى تعدد المثل الأخلاقية (كذلك زينا لكل أمة علهم) - كذلك زين للذين كفروا ما كانوا يعملون) و إلى الظاهرة اللغوية (و من آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و لوانكم) (و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه لين لهم) .

(١) قالوا بل نتبع ما أنتينا عليه آياتنا . و تكرر هذا المعنى .

(٢) ورد ذكر ظاهرة الترف في القرآن سبع مرات .

و الميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الندم ولا خلو
قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو . (أخرجه مالك) .

لأخذ بعض ما ورد في الحديث لبيان الارتباط :

(ألف) الغلول وهو السرقة من الأموال العامة فإذا فشت بين المؤذفين

وأفراد الشعب كان كل واحد منهم خائفاً على نفسه من أن تعرف خيانته وليس الرعب إلا هذا الخوف المستمر المفقود للشجاعة وفقد الآخرين فقداً جريحاً .

(ب) الزنى . . إذا انتشر أدى إلى قلة الزواج و قلة النسل وبقل عدد السكان

أو على الأقل لا يحصل الازدياد المتظاهر وهي المشكلة المعروفة بقلة عدد السكان إلى تناقضه كنواته، فتجد عن عمليات طلاق العاجز عن عك

أن يلاحظ انتشار الأمراض المؤثرة في صحة السكان وقلة تناولهم .

(ج) الحكم بغير الحق (الظلم في القضاء) يؤدي إلى انتشار التأثير لأخذ

صاحب الحق حقه بنفسه لأن القاضي لم يعطه حقه فيؤدي ذلك إلى النزاع والتقافل.

قد يكون الترابط بين ظاهرتين عن طريق وسائل من ظاهرات أخرى لمذكر

و إنما يذكر من سلسلة الأحداث بدايتها و نهايتها و هذا لا ينفي الارتباط السبلي

وسيطة مذوفة ولكن الربط السبكي ظاهر في هذه الآيات وكثيرة غيرها بمعناها.

(٤) إذا كان القرآن الكريم - و كذلك الحديث يشير - إلى ارتباط ظاهرتين

اجتماعيتين ارتباطاً مطرداً فمعنى أنه ذلك يشير إلى قوانين الطواهر الاجتماعية أو سنن

الله في المجتمع الانساني، إذ ليس القانون الاجتماعي إلا الرابط المطرد بطريقه عاين

ظاهرتين أو ظواهر اجتماعية . بل إن القرآن يدلل صراحة أن الله سبحانه وتعالى أدمم

البعث الإسلامي ★
الاتصالات المطردة التي يسمى علماء الطبيعة وعلماء الاجتماع قانوناً .
كذلك إلى ارتباط الحوادث الاجتماعية مثل هذا
كتنوزل المطر ونمو النبات يشير كذلك إلى ارتباط حادث
ولا حق - جرت العادة أن يسمى مسيباً أو نتائجة - تابعاً مطرداً باستمرار
مطرداً منتظماً ييناً ، إذ يدل على تابع حادثين سابق - جرت العادة أن يسمى مسيباً
٣ - كايثير القرآن الكريم إلى ارتباط حوادث الطبيعة بعضها بعضها البعض ارتباطاً

الارتباط المترد الدى يسبّب خاوية
يتكرر في القرآن مثلاً حصول الهاك بعد ظهور الظلم : « فتك يوهم . . .
بما ظلوا » . . . وكم قصماً من قرية كانت ظالمة و أنشأنا بعدها قرناً آخرين » . . .
« فكأي من قرية أهلها و هي ظالمة » . بل إن هذا الارتباط له قانون زمني « و تلك
القرى أهلها نام لما ظلوا و جعلنا لهم موعداً » . . . و هل يملك إلا القوم
الظالمون . . .

و كذلك ظاهرة الترف فقد تكررت في القرآن و اقترن بالفسق و محاربة
دعوات الانبياء الاصلاحية و تقليد الآباء و الاجرام و اهلاك : وإذا أردنا أن نهلك
قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرواها تدميراً ، و اتبع الذين
ظلموا ما أترفوا فيه و كانوا مجرمين ، . . . و ما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال
مترفوها إنا بما أرسلتكم به كافرون ، و كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من
نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون ،
و هناك آيات أخرى غير هذه و نكتفي بما أوردنا .

لعدة ظاهرات بنتائجها في الحديث التالي :

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : ما ظهر الغلول في قوم إلا ألق الله تعالى في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم إلا كثير فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال

الإنسان إليها و حضنه على السير و النظر والتفكير فيها و الاستماع إليها . و لذلك يقرن الحديث عن الموضوعات الاجتماعية بالفاظ التفكير و العلم و السماع و النظر كقوله تعالى في الكلام عن الزواج و علاقته وأهدافه ، و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكعوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك آيات لقوم يفكرون ، و في الكلام عن عاقبة الأجرام « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » ، فما جاء في القرآن من الاشارة إلى سنن الله في المجتمعات إنما هو أمثلة و نماذج للاعتبار ، وليست للاستقصاء فذلك متروك لتفكير الإنسان و بحثه و تجربته ، وأخيراً فإن اتصاف الظاهرة الاجتماعية و القانون الاجتماعي بالعموم و الشمول يصرح به القرآن و الحديث و ذلك في قوله تعالى « و اتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، وفي الحديث : قالوا يا رسول الله : أهلك و فينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثُر الخبر » .

(٥) التغيير و التغير .

المجتمع الإنساني كما يبدو في القرآن و الحديث متغير متبدل و للتغيره عوامل و أسباب . . . كأكثر ما يتحدث القرآن عن تبدل الأجيال - و يستعمل القرآن لفظ القرن و القرون بهذا المعنى - كقوله تعالى « وَمِنْ أَهْلَكَنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَعْلَمْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا إلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَهْمَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآءِ آخَرِينَ » (الأنعام ٦) .

و الذنب التي لم تفصل هنا هي تلك الآفات والأمراض الاجتماعية التي جعلها الجماعات . فالقرآن كتاب هداية عن طريق التوجيه تارة فيما يمكن للإنسان أن يصل إليه وعن طريق التعليم والدلالة فيما لا يمكن أن يصل إليه أو فيما يمكن أن يصل إليه بعد خسارة كبيرة للإنسانية و تلك هي المعلم الثابتة والآحكام المحددة في الأخلاق و التشريع . و قوانين علم الاجتماع كقوانين الطبيعة هي من النوع الأول وجده

★ البعث الإسلامي ★

و الجماعات و يدعو إلى السير إليها و التفكير فيها « سنة الله في الدين خلوا من قبل و ان تجد سنة الله تبدلاً » (الأحزاب ٦٢) ، قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، (آل عمران ١٣٧) .

إن القرآن يلقت النظر إلى سنته في المجتمع صارمة و دقيقة كسته في الطبيعة و أن الأمم لها آجال كالأفراد تبعاً لأسباب قدرها في صحتها و أمراضها ، و لكل أمة أجل فإذا جاء أحدهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، (يونس ٤٩) .

ما تسبق من أمة أجلها و ما يستأخرون (المؤمنون ٤٣) .

و قد يصوغ القرآن القانون الاجتماعي بالمعنى الواقعي - و هو غير المعنى التشريعي - كقوله « و لَمْ في الْقَصَاصِ حَيَا » ، و كقوله حكاية عن بلقيس ملكة سبا في حدتها عن سليمان « إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا » وهذا ينتهي كلامها كما يرى ابن عباس و تنتهي الآية بقول الله العبر عن قانون اجتماعي و سنة غالبة ، وكذلك يفعلون ، أى هكذا حررت عادة الملوك و القانون العام للسير لهم .

و لكن يجب التنبيه هنا إلى أن الله لم يقصد أن يقدم للناس في كتابه المنزل سنته في الكون و لم يجعل كتابه كيماء أو فلك وإنما وجده الإنسان إلى النظر في الكون و التفكير فيها فيه في ظاهره و باطنه يستخرج هو بنفسه سنن الله فيه مما يقدر عليه و وكله الله إليه تدفعه إلى ذلك دوافع المنفعة و المصلحة و المتعة .

و إنما أشار إليه وجهه بل أمره و حضنه على ذلك ، و هكذا الحال في سنته في المجتمع . فالقرآن كتاب هداية عن طريق التوجيه تارة فيما يمكن للإنسان أن يصل إليه و طرق التعليم والدلالة فيما لا يمكن أن يصل إليه أو فيما يمكن أن يصل إليه بعد خسارة كبيرة للإنسانية و تلك هي المعلم الثابتة والآحكام المحددة في الأخلاق و التشريع . و قوانين علم الاجتماع كقوانين الطبيعة هي من النوع الأول وجده

و ذلك قوله عليه الصلاة و السلام : « من بدأ جفا » وفي رواية « من سكن الادية جفافاً) رواه الترمذى في السنن) .

و كذلك الاشارة إلى تأثير العامل الاقتصادي في الحديث « اللهم إني أعوذ بك من الكفر و الفقر » إذ قرن بين الكفر و الفقر فجعلهما مصبتين متعادلين من جهة و أشار من جهة أخرى إلى ما يوجده الفقر من استعداد لغير العقيدة و هذا الحديث الصحيح يقوى معنى الحديث الآخر وهو ضعيف و نصه « كاد الفقر أن يكون كفراء و بئنة الفقر هي البيئة المستعدة للثورة على أوضاع المجتمع و عقائده ، لذلك شرع الإسلام أحكاماً كثيرة لازالة الفقر بطرقين طريق الازام بواسطة أولى الأمر و طريق الأخلاق بالحزم و الترغيب . وفي مقابل ذلك أشار القرآن إلى أن المترفين يمدون إلى التقليد و استمرار الأوضاع الفاسدة و لا يحبون التغيير الصالح و يقفون أمام دعوات الأنبياء و المصلحين .

و نجد في القرآن الكريم إشارة سريعة إلى العلاقة بين المسكن من إقامة الشعائر الدينية و عبادة الله و وجود الوسائل المادية المساعدة و ذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواط غير ذي زرع عند بيتك الحرام ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفتدة من الناس هوى إليهم و ارزقهم من الثارات أعلمهم بشكرهن » (سورة إبراهيم ٣٧) .

و يشير القرآن إلى أن البشر إذا اقتصروا في تعلمهم و هدفهم إلى الحياة الدنيا وحدها فإن النتيجة هي الصراع بين الكتل البشرية حول المال . إن القانون مشروع باطار الحياة الدنيا و ذلك في قوله تعالى « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و هو و زينة و تفاخر ينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد » الصراع لزيادة عدد السكان ولزيادة الأموال و حيازتها و لكن مفعول هذا القانون المشروع يتغير من هذه الإشارات ماورد في الحديث عن تأثير البيئة الجغرافية في الأخلاق

★ البعث الإسلامي ★
إلى مسب الهالك و هو البطر حيث تُعدم الدوافع المتألقة التي تشفي الحضارات و تدمي حياتها .

إن الكلام عن تبدل المجتمعات من حال إلى حال و هلاك الأمم و الأقوام و القرون أى الأجيال - كثير جداً في القرآن و مقترب بالدعوة إلى التفكير والتأمل و الاعتبار . و تغلب عليه الصيغة المجردة من التفصيلات التاريخية والحوادث الشخصية فهو أقرب إلى صبغ علم الاجتماع منه إلى التاريخ . و لو استعرضنا هذه الآيات الكثيرة لوجدنا أن القرآن يخرجنا من النطاق المحدود في إطار زمان معين و قوم معينين و قبيلة معينة و يجعلنا نظر على المجتمع الإنساني في إطاره العام الشامل للشعوب والأمم الخاضعة كلها لسن واحدة في التغيير .

عوامل التغيير :

فـ القرآن وـ الحديث أشارـة لـعوـامل التـغيـير وـ ليس ذـلك عـلـى سـيـل المـحصر وـ لا عـلـى طـرـيقـة الـبـحـث الـعـلـمـي لأنـ ذـلك مـتـرـوكـ لـتـفـكـيرـ الـبـشـر وـ اـجـهـادـهـ فـالـقـرـآنـ كـتـابـ هـدـاـيـةـ جـمـهـرـةـ النـاسـ وـ لـيـسـ مـقـصـورـاـ عـلـىـ الـخـاصـةـ ،ـ وـ هـدـفـهـ هـدـاـيـهـ وـ إـرـشـادـهـ وـ دـلـالـتـهـ .ـ وـ لـذـكـ يـكـفـيـ أـنـ يـشـيرـ الـقـرـآنـ وـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ الـظـلـمـ وـ الـبـطـرـ وـ الـتـرـفـ تـسـبـ هـلـاكـ الـأـمـمـ لـتـحـصـلـ الـعـبـرـةـ وـ الـفـائـدـةـ الـعـمـلـيـةـ .ـ وـ لـكـنـ عـلـىـ الـعـالـمـ الـبـاحـثـ أـنـ يـفـتـشـ فـيـهـ وـ رـاءـ كـلـةـ الـظـلـمـ مـنـ أـنـوـاعـ كـالـظـلـمـ السـيـاسـيـ وـ الـاستـبـادـ وـ الـاستـعـلامـ وـ الـظـلـمـ وـ الـظـلـمـ الـاـقـصـادـيـ أوـ الـمـالـيـ كـظـلـمـ الـمـرـاـبـيـنـ وـ الـأـغـنـيـاءـ لـلـدـائـيـنـ وـ الـفـقـرـاءـ وـ ظـلـمـ الـقـضـاءـ وـ الـحـكـامـ لـتـقـاضـيـنـ وـ الـمـحـكـومـيـنـ وـ هـكـذاـ لـهـ أـنـ يـخـالـ مـفـهـومـ الـبـطـرـ وـ الـتـرـفـ وـ الـاسـرـافـ الـوـارـدـةـ كـذـكـ فـيـ آـيـاتـ كـثـيرـةـ عـلـىـ أـنـهـ مـنـ أـسـبـابـ تـبـدـلـ النـعـمـ وـ دـمـارـ الـأـمـمـ .ـ

من هذه الإشارات ماورد في الحديث عن تأثير البيئة الجغرافية في الأخلاق

المسلمين من الفقهاء والمؤرخين و علماء الأقوام والمجتمعات ويمكن أن نأتي بعض الأمثلة على ذلك :

سُئل الإمام مالك عن رأيه في التسعير على الجزارين فأجازه ولكنَّه أضاف : أخاف أن يقوموا من السوق ، وقال الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي إن ذلك يؤدي إلى إخفاء الأقواء .

و هذا التفكير المعلل بأسبابه في الأمور الاقتصادية والاجتماعية عامة مسيطر على تفكير علماء المسلمين . و يمكننا أن نقرأ كتاب الحسبة لابن تيمية لتحققه من ذلك .

و نعتقد أن هذا التفكير العلمي في الميدان الاجتماعي الذي وجه إليه القرآن كان السبب في ظهور مؤلفات في دراسة الشعوب و عاداتهم ككتاب البيروني عن الهند و مؤلفات المسعودي و هذه كلها من نوع ما يسمى اليوم (علم الشعوب والأقواء) هذا الانتاج هو البداية التي انتهت بعد عدة قرون بظهور مقدمة ابن خلدون التي كان فيها أول رائد في العالم لعلم الاجتماع الحديث .

التغيير :

إن الإسلام بناءً على ما تبين في القرآن و الحديث من تحرك المجتمع وتغييره بسبب عوامل التغيير يدعو إلى تطبيق عملى لعلم الاجتماع أو إلى القسم الأخلاقى التطبيقى فيدعى المسلم إلى تغيير المجتمعات تغييرًا نحو الأفضل ابتداءً من تقويض عقائد الوثنية و الشرك ذات النتائج الضارة في جميع المجالات إلى نقض النظم الفاسدة و الجائرة ، النظم السياسية و الاقتصادية عن طريق الدعوة أولاً ثم عن طريق الجهاد بأنواعه إذا اقتضى الأمر كذلك .

قال الصحابي ربعي بن عامر لقائد الفرس إثر إغرائه له بالرجوع عن الحرب

★ البعث الإسلامي ★
 إذا جعل الإطار شاملًا للحياة الآخرة وما تتطلبه من مثل علياً فيصبح المال أدلة وسيلة لا غاية و يأخذ الصراع شكلًا آخر وهو التنافس على العمل الصالح في الدنيا لسباق و لا يقول صراع أوسع و أبعد ، وهذا ما تشير إليه الآية التالية : «سابقوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها كعرض السماء و الأرض » . (سورة الحديد) .

و يؤكد هذا المعنى ما تشير إليه الآية الكريمة الأخرى من عوامل العصبية و حب المال و الأرض في مقابل المثل العليا التي يدعو الله و رسوله إليها و يريد أن تكون هي العليا و المميزة :

« قل إن كان آباءكم و أبناءكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقرفتموها و تجارة تخشون كсадها و مساكن ترضونها أحبابكم من الله و رسوله و جهاد في سبله فtribusوا حتى يأتي الله بأمره »

و يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامل الوراثة في قوله : « اغربوا لا تضروا » أي زوجوا من البعدين عنكم في القرابة لئلا يخرج النسل ضارياً هرليلاً .

و أما ثالث العامل الاعتقادي فالقرآن مليء بشواهد عليه في حياة الأفراد - كصاحب الجنين في سورة الكهف - وفي حياة الجماعات و ما تولده فيها العقائد الوثنية بأنواعها من تتابع سببها : عبادة الشمس في مملكة سبا ، و عبادة فرعون من شعبه ، و عبادة الكواكب في قوم إبراهيم - شعب مابين النهرين - و عبادة الأواثان و تقديس الحيوانات المندورة للإله إلى غير ذلك .

إن هذا التفكير السببي المستند إلى العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية والذي هو من إيجاد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نجد أثره واضحًا في تفكير علماء

و الخلاصة :

(١) إن المفهوم العالى لعلم الاجتماع باعتباره دراسة واقعة موضوعية لمجتمع الإنسان لحوادثه و ظواهراته - و الظاهرة هي الحادثة المتكررة العامة - و استخراج سنن حركتها و تغيرها و تطورها و مراحلها و دراسة التجمعات البشرية و المؤسسات الاجتماعية كالأسرة و الدولة ، إن هذا المفهوم مقبول بل مائل و موجود في نصوص الإسلام الأصلية في الكتاب و السنة . و قد انطبع في أذهان المسلمين و أقبل علماء المسلمين على السير من منطلقه ، ويمكنا اليوم أن نسير فيه و نستفيد كذلك من تجارب غيرنا في ميادينه .

(٢) أما النظريات الخارجية عن هذا النطاق و التي من قبيل ميما فيزبك (علم الاجتماع) فينبغي أن يكون مصدرها ومنطلقاً هو الإسلام نفسه ، إذ أن للإسلام نظرات محددة في أصل الأديان و نشأتها و تعاقب النبوات و تتابع تشعيعاتها وأحكامها ، كأن فيه مفهوماً للامة و موقفاً نظرياً و عملياً من التطور الإنساني من القبيلة إلى التعارف الإنساني الذي يجمع وينسق بين جميع أنواع الأشكال الاجتماعية فما علينا إلا أن نستخرج هذه النظارات و نصوغها انضماماً في مكانها من علم الاجتماع بالمعنى الواسع بدلاً من النظريات المبنية على مفاهيم عقائدية أخرى .

(٣) وهناك قسم ثالث و هو دراسة قضايا اجتماعية متعددة من خلال التشريع الإسلامي أو كما يقدمها الإسلام و عرضها بالطريقة الاجتماعية و وضعها في موقعها و في إطارها العام . منال ذلك الأسرة كاً بحدها الإسلام من جهة تكوينها و تركيبها و وظائفها و شخصية أفرادها الحقيقة إلى غير ذلك من خصائصها ثم مقارنتها بأنواع الأسرة الأبوية الكبيرة المعروفة في التاريخ و الأسرة الزوجية المنشورة في العصر الحاضر و بذلك تتحدد صفاتها و تصنيفها الاجتماعي بين أشكال الأسرة ، و من هذا

★ البعث الإسلامي
، إن الله أبعانا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام و من ضيق الدنيا إلى سعيتها ، إن قانون التغير الاجتماعي كامر وجودي واقع نص عليه القرآن صراحة في قوله تعالى : « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيرة ما بأنفسهم » (الأنفال ٥٣) .

و الله تعالى - كما يقول ابن تيمية - عودنا أن يفعل بالأسباب و كذلك تغيير هذه النعمة إنما يقدر الله لها أسباباً حتى تغير و هذه الأسباب هي ما يفعله هؤلاء القوم من أمور مبيئة تكون عاملة في هذا التغيير .

و هذه الفكرة أى فكرة التغيير و إمكانه و كونه مطلوباً عبرت عنها الآية الأخرى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرة ما بأنفسهم » و هي تشمل التغيير في الاتجاهين : الحسن و الأفضل و نحو الأسوأ . و نقطة الانطلاق فيها تبدأ من الإنسان فهو الذي يبدأ بالتغيير ليصل إلى حال أحسن أو إلى حال أسوأ . و معنى هذا أن الإنسان قادر على تغيير المجتمع وأن الله أعطاه هذه القدرة و دله على الطريق و هو معرفة أسباب التغيير و عوامله . إن الإسلام طلب تغيير الشرك بالتوحيد والحمل بالعلم والكسل و البطالة بالعمل والفقر بالغنى غير المطر والضعف بالقوة و الآلة بالتضامن و الفحش باللطفة إلى غير ذلك من نظام القيم الإسلامي إن الإسلام جعل للتغيير أهدافاً و طلب العمل و الحركة و النغير للوصول إلى هذه الأهداف . و جعل للتغيير طريقاً وهو حسب التعبير القرآني (تغيير الأنفس) و يشمل هذا التغيير نوعين تغيير (الأنفس) مجموعة ، و ذلك هو المجتمع وتغيير (النفس) بالنسبة للفرد .

الرّحْمَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع

★ البعث الإسلامي

القبيل بحث فكرة (المزاولة) في التشريع الإسلامي و تحديد صفاتها مستنبطه من الأحكام الفقهية في أحكام المعاملات والجنايات ثم الاطلاع على ماقتبته من بحوث الأحكام المقارنة عظمة في تطور المسؤولية خلال التاريخ و ستنظر في مثل هذه الدراسات المقارنة عظمة الاسلام و خلوده .

(٤) هناك قسم رابع يشمل على بحوث ميدانية في المجتمع الإسلامي المعاصر فيما هو من اختصاص علم الاجتماع وبقصد التغيير نحو الأفضل و وفقاً للأهداف التي حددها الإسلام كدراسة العقائد الدخيلة و التيارات الفكرية و دراسة موضوعات الطلق و العمل و الملكية و علاقات الاتاج و مرحلة النصنيع و دراسة رواسب العصور و التخلف من الأفكار المادسوسة على الإسلام كالتوكل و إسقاط التدبر و الاعتقاد بالخرافات التي حاربها الإسلام و سائر أسباب التخلف .

⊗ ⊗

هذه خطوة مفترحة لصياغة إسلامية لعلم الاجتماع في خطوطها الكبرى و هي وليدة تفكير في الموضوع منذ سنين طويلة كانت البداية الأولى منها منذ أيام دراستي لعلم الاجتماع في جامعة باريس ثم كنت أعاود التفكير فيها خلال تدريسي لعلم الاجتماع في كلية الشريعة في جامعة دمشق وفي كلية البنات في جامعة أم درمان الإسلامية ، إذ استجب لاقتراحي بتدريس علم الاجتماع بطريقة إسلامية و سموها (النظرية الاجتماعية الإسلامية) وإن كنت لم ارتض هذه التسمية ، و من خلال أبحاث أخرى اجتماعية إسلامية كالأسرة و المسئولية و الأمة .

وإن أرجو أن تتفاوض الجهود ولا سيما جهود المتخصصين لشق هذا الطريق الجديد وتعييده ثم إقراره لدى الرأي العام العلمي في البلاد الإسلامية ليستفاد حينئذ من تدريس علم الاجتماع و يكون عوناً على تقوية الإسلام ، ولنزييل الآثار السعيدة

البقية على ص ٤٦

إن فرعون مكر بهذا المكر ليفت أنظار الناس إلى شيء آخر و يصرفهم عن فكرة الإيمان فأثار فيهم العاطفة الوطنية وأيقظ فيهم حب العيش مع الترف والبذخ والنعمة والرفاهية ولنبي لهم الكثوز والأموال فنجح فيها بجاحاً كبيراً - لأن الناس كلهم يحبون العيش الرغيد والطعام اللذيذ ، ومن يحب أن يخرج من وطنه مطروداً ؟ - فلم يتحمل فرعون أى مشقة في تكبيل الأمراء والرؤساء تحت رأيه بالأقوال العاطفية لأن هذه الأمور طبيعية و النفوس ترحب و تنجدب إليها .

و لذا نرى أن طبقة المعارضين للدعوة الحق هي طبقة الرؤساء والأمراء وأشراف الناس وأصحاب الثراء ، وهي تعارض كل ما يأتي به الداعي الرسول ، وهي التي تشن حرباً على الدعاة إلى الله ، كذلك هم فعلوا هذه الفعلة الشنيعة مع عليه السلام « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا و تكون لكم الكبريات في الأرض و ما نحن لكم بمؤمنين » .
فهبت فرعون في ذلك الوقت و تملكته الدهشة و اسود وجهه عندما زهق الباطل و غالب الحق في المبارزة بين موسى و السجدة ، و فشلت هذه المؤامرة التي أعدها فرعون و من حوله لغبتهم و إطفاء نور الحق ولكن خاب « وألق السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين : رب موسى و هارون » . كان فرعون في ضيق و ضنك من العيش في هذا الوقت و لكن حاول بشدته في الكلام أن يستر عن هؤلاء الناس خفتة ، و ضعف حيلته ، و قلة بضاعته ، و يخفى على هذا الجموع الحاشد تبلله و اضطرابه الذي تذهب نفسه حسرات عليه ، لأن سلاحه الذي اتكاً عليه قد غاب عنه لإيمان هؤلاء الساحرين ولم يبق له بريق الأمل في مستقبله للغلبة عليه والدفاع عنه ، نخاطب هؤلاء الساحرين الذين آمنوا - بغيظ و غضب « إن هذا المكر فسلى بذكر هذه القاعدة الكلية رسولنا الأكرم عليه وليست بها الأقدام في نشر دعوه في مكة المكرمة عندما يعرقل سيره أشراف مكة و رؤساؤها ليصدوا عن سبيل الله و يصرفوا عن دعوه فأنزل الله على رسوله الحبيب تسليه له و تثبيتاً لقلبه ، كذلك ، « وما

المبادئ التي تخمن الفلاح والازدهار

العارف الكبير الشيخ وصي الله الفتحبورى
تعريب : عبد الله الحسنى الندوى
(الحلقة الثانية)

و من المعلوم أن موسى عليه السلام كان من قوم آخرين أى من بني إسرائيل وأن هذه الأمة قد استعبدتها فرعون لقضاء مآربه و إرضاء شهواته فقيل لموسى عليه السلام « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا و تكون لكم الكبريات في الأرض و ما نحن لكم بمؤمنين » .

فهبت فرعون في ذلك الوقت و تملكته الدهشة و اسود وجهه عندما زهق الباطل و غالب الحق في المبارزة بين موسى و السجدة ، و فشلت هذه المؤامرة التي أعدها فرعون و من حوله لغبتهم و إطفاء نور الحق ولكن خاب « وألق السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين : رب موسى و هارون » . كان فرعون في ضيق و ضنك من العيش في هذا الوقت و لكن حاول بشدته في الكلام أن يستر عن هؤلاء الناس خفتة ، و ضعف حيلته ، و قلة بضاعته ، و يخفى على هذا الجموع الحاشد تبلله و اضطرابه الذي تذهب نفسه حسرات عليه ، لأن سلاحه الذي اتكاً عليه قد غاب عنه لإيمان هؤلاء الساحرين ولم يبق له بريق الأمل في مستقبله للغلبة عليه والدفاع عنه ، نخاطب هؤلاء الساحرين الذين آمنوا - بغيظ و غضب « إن هذا المكر فسلى بذكر هذه القاعدة الكلية رسولنا الأكرم عليه وليست بها الأقدام في نشر دعوه في المدينة لنخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لاقطعن أيديكم و أرجلكم من خلاف و لأصلبكم أجمعين » .

المبادىء التي تضمن الفلاح والازدهار

★ البعث الاسلامي
أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفها إنا وجدنا آبائنا على أمة - أى

طبيعة الإنسان طبيعة التوحيد والحب والإيمان

فضيلة الأستاذ أمين أحسن الاصلاحي
د. معرب *

تحتل نظرية الارتفاع محل العمود الفقري في جميع الدراسات العلمية والفنية في العصر الحاضر ، فكل باحث سواء في التاريخ والقانون والاقتصاد والسياسة والفلسفة والديانة والعمران والمدينة ، إنما يغلب على ذوقه العلى البحث عن المرحلة البدائية لهذه العلوم و إنه يعتبر دراسته ناقصة ما لم يتوصل فيها إلى النقطة التي ابتدأت و انتلقت منها .

وقد أنتج ذلك أن التراث المدون لكل علم وفن ، الموجود في ضوء التحقيق و الثقة ، لم يعد يكفي للدلالة على قيمة العلمية الصحيحة بل أصبح بمراجعة إلى دراسة من جديد و تحقيق مزيد .

وقد بدأ الذوق العلى الجديد يتطلع إلى دراسة كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية في هذا العهد و تحقيق التاريخ الإنساني عندما كان في عهد الطفولة الذي يتصل بتاريخ مدون ، و معلوم أن هذا العهد عهد مظلم فكل ما يقال عنه لا يعود إلى تركها علم الاجتماع في صيغته الغربية و لتشطط البحوث العلمية كذلك في مراكز البحث و الاختصاص للإسهام على الصعيد العالمي في ترقية علم الاجتماع بوجه عام ليكون أدلة نفع للإنسانية لا أدلة للاذارة باسم العلم لحساب مراكز الاستعمار و التبشير بالنظم العقائدية المخضمة للعالم الإسلامي و للشخصية الإسلامية و أدلة يد أساطين الصهيونية العالمية من أساتذة الجامعات في الغرب للإفساد و التدمير ، و الله هو المستعان في إنجاح القصد و التوفيق لما فيه الخير و السعادة .

★ طريقة و دين - و إما على آثارهم مقتدون ، لم تكن كامنة عن ذهنه لم تكن معززة عن فراسة موسى عليه السلام الأخاذة ولم تكن هذه الأموال الواقد هذه الجماعة بل كان يعرفها جيداً وقد شعر بطريقتها و جاذبها أن هذه النعم الالهية التي خاضوا فيها من و الكنوز التي يفتخر بها فرعون و قومه و هذه النعم الالهية التي خاضوا فيها من الأعقاب إلى الرؤوس سبب لاعراضهم عن الله و عن درب الحياة الصحيح و عن جادته المستقيمة و لأخذهم عرض الحياة الدنيا لأنهم يخالفون عليها الملائكة و الدمار أو أن يلم بها ملة أو يقيدوا في نظام جديد حتى إن موسى عليه السلام توجه إلى الله تبارك و تعالى بخشوع و خضوع بعد ما أدرك سر هذا الاعراض و الصد عن سبيل الله فتوجه بالدعاء ، إنك آتيت فرعون و ملأه زينة و أمواله في الحياة الدنيا ربنا ليضروا عن سياك ، عرض هذه الكلمات أولاً في حضرته ليغضب الله سبحانه غضباً ثم رتب عليها هذه الكلمات الثالثة « ربنا اطمس على أموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » فقبل الله عز وجل دعوه و قال مخبراً له قد أجيئت دعواتكم فاستقموا ،

• بقية المنشور على ص ٤٢ ،

★ التي تركها علم الاجتماع في صيغته الغربية و لتشطط البحوث العلمية كذلك في مراكز البحث و الاختصاص للإسهام على الصعيد العالمي في ترقية علم الاجتماع بوجه عام ليكون أدلة نفع للإنسانية لا أدلة للاذارة باسم العلم لحساب مراكز الاستعمار و التبشير بالنظم العقائدية المخضمة للعالم الإسلامي و للشخصية الإسلامية و أدلة يد أساطين الصهيونية العالمية من أساتذة الجامعات في الغرب للإفساد و التدمير ، و الله هو المستuan في إنجاح القصد و التوفيق لما فيه الخير و السعادة .

بده بعنصرتين ، أولاً : دافع الخوف . وثانياً : الفكرة ، أما الخوف فن القوى الغبية التي نشأت عن قوى الله التي كانت تفوق قوى الانسان وتحيط بها من كل جانب ، أما الفكرة ففكراً تعظيم هذه القوى والخضوع لها ، و ذلك كتاريخ الأشياء التي لها علاقة بالجسم والجسامة إنما يتصل بذرة الحياة الأولى التي منحت المادة حركة الحياة ، وكذلك تاريخ كل شيء له علاقة بالروح والروحانية إنما يتصل بذرة الروح التي تحتوى على دافع الخوف و الفكرة ذلكا اللذان أوجدا الدين بتفاعلهما .

ولما تشكلت فكرة الدين أشكال العمل الديني أنتج ذلك واجبات الدين وشعائره وتقاليده ، ولذلك فإن الدين نتيجة عمل ارتقاء فإذا كان ذلك ارتقاء الحياة فهذا ارتقاء الروح ، وكما أن الحياة كانت مختفية في عهدها البدائي وراء أشكال الدواب Reptilian Life Forms و تدرجت إلى حياة إنسان و برزت في مظاهر الكنيسة في أول مرحلة ، و بذلك جهودهم المستطاع في منع نظرتهم عن توطيد دعائم هذه الديانات التي تدعى بتراثها و تعتبر الوحي أساساً لعقائدها و مبادئها و لا تظاهرة بأى تسامح للأديان الأخرى ، و من ثم فقد ركزوا كل طاقتهم على اقلاع جذور اليهودية وال المسيحية والاسلام ، واستخدموها لتحقيق هذا الغرض نظرية ارتقاء الدين و عرضوها بأسلوب يهدم مبادئ الأديان السماوية هدماً كلياً .

أما النتائج التي يستنتجونها بهذا التقرير فتشتمل فيما يلى :

١- إن نقطة انطلاق الدين دافع الخوف الذي نشأ بمظاهر القدرة الالهية ، فقد بعثت مظاهر البرق والرعد والأعاصير والبراكين والزلزال خوفاً في قلب الانسان ، حتى إنه ظنها كائنآ حياً و بدأ يعبدتها للتوفى من مصائبها و أخطارها .

٢- و من الخطأ الكبير أن تعتبر عبادة الله وحده طبيعة الانسان التي فطر عليها ، ولو كان الأمر على ذلك لم تكن خطوة الانسان الأولى نحو عبادة المظاهر و الأشياء محل عبادة الله ، ولم تنتشر عبادة الأصنام والقبور في هذا العالم .

٣- إن أساس الديانات كلها واحد ، و على ذلك فلا فرق بين اليهودية

ما يسمى (GUESS WORK) ولكن ذلك ينال الان من الأهمية ما يجعله مقاييساً صحيحاً يقاس عليه كل علم وفن فإن وافق ذلك المقاييس فهو الحقيقة التي لا شك فيها ، وإن لم يوافق فهو أمر لا يمت إلى الحقيقة بصلة ما ، وهو حجر عثرة في طريق نظرية الارتقاء يجب أن تزال بأى طريق يمكن .

و كان لأثير هذا الفتن أن جميع الدعاوى للتغيرات السياسية والاجتماعية التي ابعت في هذا العالم اعتمدت على نظرية الارتقاء التي وافقت الجميع في كل وقت ، ولما قام أنصار الديمقراطية لعرض نظرتهم أثبتوا أن الديمقراطية هي الطبيعة الإنسانية في الحقيقة ، و جاء أنصار الملكية فأثبتوها حاجة الانسان الأكيدة ، و الفوضويون صورووا الفوضى بخلوها ضرورة الحياة و هكذا الاشتراكيون أثبتوا أن الاشتراكية هي الفطرة التي فطر عليها الانسان ، ولكن الديانة هي التي ظلت منفصلة عن نظرية الارتقاء و ذلك لأن حملة لواء هذه النظرية اختلفوا مع أهل الكنيسة في أول مرحلة ، و بذلك جهودهم المستطاع في منع نظرتهم عن توطيد دعائم هذه الديانات التي تدعى بتراثها و تعتبر الوحي أساساً لعقائدها و مبادئها و لا تظاهرة بأى تسامح للأديان الأخرى ، و من ثم فقد ركزوا كل طاقتهم على اقلاع جذور اليهودية وال المسيحية والاسلام ، واستخدموها لتحقيق هذا الغرض نظرية ارتقاء الدين و عرضوها بأسلوب يهدم مبادئ الأديان السماوية هدماً كلياً .

و بالنسبة فاتنا لن تعرض لنفصيل جميع نواحي هذا الموضوع بل و تحدث عن الناحية الخاصة التي تتصل بجانب الشرك و التوحيد .

إن هؤلاء الناس يشرحون نظرية ارتقاء الدين بأن الدين ، إنما وجد في هذا العالم مع وجود الانسان ، و فور ما أحسن الانسان بأنه ليس مجرد جسم بل إن فيه عنصراً كريماً هو الروح ، أسس الحجر الأول للدين ، وانتظم الدين باديء ذي

و على كل فان الانسان قبل أن يحس بالخوف في نفسه أحس بنعمة الحياة و امتلاه قلبه بحب المنعم ، وكما أغراه فكره على عبادة مظاهر القدرة يكون قد انبعث فيه فكرة الآخر و حله على الشكر لمن أنعم عليه بالحياة و وسائلها ، و لا شك في أن دافع الحب و تفكير الشكر هذا هو أساس التوحيد والعبادة الحالية لله وحده ، و ذلك هو السر فيما أشار إليه القرآن من أن الحمد هو الصوت الأول المنبعث من فطرة الإنسان « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم »

و يؤيد ما ذهبنا إليه أن الأمور التي تبعث الخوف في نفس الإنسان ليست من الأمور والأحداث اليومية العادية فالزلزال لا تحدث كل يوم ، و البراكين لا تنفجر في كل حين ، و البرق و الرعد لا يشاهدان كل وقت ، و هم جرأة ، ولكن النجوم تطلع كل ليلة و الشمس تشرق كل يوم و السماء الزرقاء تشاهد كل لحظة ، و كذلك القمر ينشر نوره في كل ليلة مفمرة ، و الماء و الفواكه توجد في كل زمان ، ثم أليس من العجب العجاب أن يتأثر الإنسان بمظاهر قدرة الله التي لا تمثل إلا أحياناً فيخضع أمامها و يعبدوها ، ولا تأثر نفسه بنعم المنعم الغيبي المتتابعة ولا ينبعث في نفسه أى دافع من دوافع الشكر و التقدير له .

يُنبعث في نفسه أى دافع من دوافع الشكر و التقدير له .
قام علماء يولوجيا بتصوير العالم في عهده الأول و رسوا له صورة قاتمة وهي أن مظاهر القدرة في ذلك العهد لم تكن إلا باعثة على دوافع الخوف في نفس الإنسان ، و لكن الذي لا مرية فيه أن إنسان ذلك العصر لم يكن كأنسان اليوم ، فإذا كان العالم في ذلك اليوم لا يبلغ من الجمال إلى ما يبلغ إليه اليوم لم يكن إنسان ذلك العهد محباً للجمال كما هو اليوم ، و إذا كانت الأرض في ذلك العهد غير خصبة فلم يكن إنسانه كأنسان اليوم متوفراً متحضرأ ، و إذا كانت الأخطار و المخاوف في يستلزم ذلك أن شعوره بالنعم يكون قد أثار في نفسه دافع الحب للنعم ، فثبتت أن العهد القديم جسيمة وكثيرة لا يأتى عليها الحصر فان الانسان في ذلك الوقت لم يكن

★ البعث الإسلامي ★
و الاسلام و بين إيمان الوحش في إفريقيا بالسحر Woodou Worhsip ، إذن ينبغي أن يكون التسامح بين جميع الأديان و العقائد المختلفة أصل الأصول . إن الخطاب المذكور أعلاه يلغى من الروعة و التأثير ما يثير الإعجاب به في نفوس الناس و قد أدرجه بعض علماء الدين في كتبهم ، رغم أنه لغو من الكلام لا يقره العقل و المنطق .

أما أن يقال إن مبدأ الدين هو الخوف من القوى الغيبية فكلام لا أساس له ، إنحقيقة الخوف الذي يتمكن في نفس الإنسان إنما تتحقق في خوفه من زوال ولا هم يحزنون ، ولذلك فان وجود الخوف يسبق الشعور بالنعمة و المنعم كأمر لا مناص منه ، و ما لم يشعر بنعمة الحياة و قيمة الوسائل و الأسباب لم يجد في في النفس خوفاً من الحياة و زوال النعمة ، وقد نرى أن من يسامح الحياة و يزعج منها لا يخاف من الموت والانتحار ، فكم من رجال يحرقون أو يغرقون أنفسهم في البحار و الأنهار ، و منهم من يتواكب في أفواه البراكين .

فإذا كان إنسان العهد الأول قد أحس في نفسه خوف البرق و الرعد و الطوفان والأعاصير واهتم بصيانة نفسه من هذه الأخطار فان ذلك يدل على أنه كان يشعر بنعمة الحياة و قيمة النفس ، ولو لا أنه رأى الحياة و وسائلها نعمة لم يتم بوقايتها من الأهوال و الأخطار ، و من لم يحب شيئاً لم يضن به ، و لا يقفل البيت إذا كان مفرياً ، كما أن الشعور بالنعمة دليل على الشعور بالمنعم أيضاً ، و إذا صح أن الإنسان بدأ بعد مظاهر القدرة خوفاً من أن تسلب منه هذه النعمة التي يعيش فيها يستلزم ذلك أن شعوره بالنعم يكون قد أثار في نفسه دافع الحب للنعم ، فثبتت أن دافع حب المنعم سابق على دافع الخوف .

على أهل الرشد و النصح العقلى لكان قد ابىعث مع دوافعهم و نشأت منها فكرة عظمة الدين و سموه و جلالة شأنه ، هذا أقرب إلى تصور الدين بالنسبة إلى آثار تلك النعم البديعية التي توحى إلى الدين ، ولم تكن فيها يد للوالد رغم وجودها في العالم بل إنها كانت لذات قوية تفوق شخصية الوالد بما لا حد له (١) .

و على كل فإن مبدأ الدين لم يكن بدافع الخوف بل بدافع الحب ، وكلتا النظريتين لعلماء الطبيعة باطلتان في هذا الموضوع ، ففي الشكل الأول يتقدم دافع عبادة الله و فكرتها على كل شئ ، أما عبادة غير الله فقد لحقت بالانسان كعارض غير طبيعي بسبب الغفلة و سوء الظن .

و في الشكل الثاني ينبغي أن يتوصل الانسان إلى الله تعالى بواسطة والده ، فان الارتقاء الفطري لداعيه هذا لا يتمثل إلا في اتصاله بالخالق الحقيق فور استغاثته عن والده . فيجده أكثر من حبه لوالده ، و يعظمه أكثر من تعظيمه له ، ولكنها إذا لم يستطع أن يفعل ذلك لضل الطريق الواضح و دخل في درب مظلم (Blind Alley) وذلك هو الجود غير الطبيعي الذي نرى أمثلته في ارتقاء حياتنا المادية كثيراً .

و مما لا مرية فيه أن أقدم دوافع الانسان دافع الحب للوالدين ، و أقدم الأفكار فكرة تعظيم الوالدين ، و إن هذا الدافع هو الذي يهدى الولد بعد بلوغه سن الرشد إلى عبادة الله و حبه لا إلى عبادة الآباء و آلهة القبائل ، و ذلك هو السبب في اقتران أمر عبادة الله و الأمر بالاحسان بالوالدين في القرآن الكريم ، الأمر الذي يعني أن الشعور بحق الله تعالى و حقوق الوالدين أقدم شعور في الفطرة البشرية ، و يتقدم فيها حق الله على حقوق الوالدين ، و إن كان يسبق إلى الشعور

(١) هاتان هما النظريتان لعلماء الطبيعة حول وجود أساس الدين و تذكرها اللتان عرضوها بأسلوب على إلى حد ، ولذلك فانني تعرضت لها فقط ، و إلا فقد وجدت هناك نظريات أخرى فنلا يعتبر البعض مبدأ الدين - (Totemism) - كما يعتبر بعضهم أصل الدين تأثيراً سارياً نشاً باستعمال شئ تمثيلي على الانسان و يقول بعضهم إن الدين قام على أساس الأهواء الجسدية ولكن الذي لا شك فيه أن ذلك كله خرافات لا تستحق العناية .

كانسان اليوم ضعيفاً متولاً بل كان يستطيع أن يأخذ بأسباب الخدر و الوقاية من كل خطر في كل حين .

و لذلك فلا يصح أن يقال إن أحوال ذلك العصر كانت تلازم ل tertiary دوافع الخوف ، إنهم يريدون أن يغالطوا بالخلط بين الحاضر و الماضي ، إن أقدم زمان فيما يزعمون هو ما يسبق العهد الحجري ، و كلما نشأ في نفس الانسان دافع الخوف سببه دافع الحب للنعم ، و إن كان ذلك وراء حجاب و حجاب .

و قد اعتبر بعض أنصار نظرية الارتقاء دوافع الخوف التي وجدت في آباء الأسر أساساً لجميع الأفكار البدائية (Early Thought) و الحقيقة أن ذلك أيضاً يبنى على الحب ، كما أن الأطفال الذين لا يمتلكون بالراحة و المذلة إلا من أجل والديهم ، فلا يلبثون إلا و يحبونهم و يخافون منهم من جراء ذلك الحب ، فلا داعي إذن للفرق بين الانسان القديم و الانسان الجديد في هذا الموضوع ، إذ أن دافع الخوف نابع في الحقيقة من دافع المحبة ، و به يندفع الأولاد إلى إكرام و الديهم ، و ينبغي أن لا نصرف النظر عن حقيقة أن الولد ما دام ولداً يرى الكون كله في والده ، و لكنه فور ما يبلغ سن الوالد يبدأ يشعر بأن وجود والده كفيل براحته و لذته إلى حد ما ، و أن مصدر ذلك في الحقيقة هي قوة غيبية كامنة بل إن وجود والده في الواقع منه منها الكثير إلى لا حصر لها .

و من هنا يجب أن نسلم أن دافع الحب الذي يكون قد ربط الولد مع والده بعلاقة الاقرام والخوف والمحبة هو نفسه الذي يكون قد ربطه مع قوة غيبية بعلاقة الاجلال و الخوف والمحبة ، فإن كان الانسان لم يخرج عن حدود الطفولة أبداً وكان وجود الدين نتيجة لتفاعل القائم بين دافع حبه و فكره لكان قد بدأ من عبادة الوالدين ، ولكن المشكلة هي أن الولد يبلغ الرشد ، و إذا كان وجود الدين متوقفاً

البعث الإسلامي ★
حق الوالدين ، و مثال ذلك الدرج الذي يكون فوق الأرض و به بصدع الإنسان إلى السقف ، ولكن الدرج يكون أصلف من السقف ، كذلك الإنسان يتضيق عليه بعد وصوله إلى الله أن والديه من جملة نعم الله التي يجب أن يشكر الله تعالى عليها فضلاً عن عبادتها هي ، و ذلك ما جعل الوالدين حقوقاً على أولادهما و لكنه لم يمنح الوالدين حق الإشراك بالله يطابنه من أولادهما « و إن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمها » و السبب في ذلك أن داعية الفطرة لحقوق الله تعالى و تعظيمه أقوى من داعيتها لحقوق الوالدين و تعظيمها ، فكيف يسوع للوالدين أن يأمر الأولاد بالتمسك بأضعف شيء ينبع من دافعهم و فكرهم و إنكار أقوى شيء ينبع من نفس الدافع و الفكرة .

و قد حام شك في بعض القلوب حول ما جاء في القرآن و الكتب السماوية الأخرى في وصف المؤمنين من كلمات التقوى والخوف والخشية و رأوا فيها تأييداً لنظرية علماء الارتقاء فيما يقولون من أن مبدأ الدين هو دفع الخوف . و لكن بطلان هذا الشك ظاهر ، لأن الإسلام لا يعتبر بالخوف الذي ينتهي على مجرد أساس الأضرار والآفات ، و كذلك الخشية يمكن أن تتعلق بـ بلاكتون و جنكينز و تيمور والأسد و الفيل و الثعبان و العقرب ، فإذا لم تختلف خشية الله عن خشية هذه الضوارى فأى قيمة لها .

إن الخوف والتقوى الذي يطلب الدين و يحييه إلى الناس إنما يقوم على أساس الحب ، فالإنسان لا يخشى الله ولا يتقيه مجرد خوف من عذاب الله و تصور عقابه ، بل إنه ينشأ في الواقع بتصور نعم الله التي لا نهاية لها و ذكر أسمائه الحسنى ، و لذلك فكلما كان الإنسان أعلم بصفات الله تعالى كلما كان أشد حباً لله ، و كلما كان المرء أشد حباً لله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

(ينبع)

الأحكام الخاصة بالأسرى في الإسلام

الأستاذ عبد الرحيم صالح عبد الله

لقد ثبت عنه عليه السلام أنه كان يطبق في الأسرى أحد الأحكام الثلاثة التالية :

(١) المن على بعض الأسرى .

(٢) مفاداة بعضهم بالمال ، وبعضهم بأسرى المسلمين وبعضهم مقابل عمل معين .

(٣) قتل بعضهم لشدة عداوتهم لله و رسوله و المسلمين .

وكان عليه السلام يطبق هذه الأحكام بحسب مصلحة الدعوة الإسلامية ومصلحة المسلمين .

هكذا فإن أمر الأسرى موكل إلى الإمام يطبق فيهم أحد الأحكام السابقة و ذلك بحسب المصلحة التي يراها .

أما من حيث المن على بعض الأسرى :

فقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال في أسرى بدر « لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كفى في هؤلاء لتركتهم له » (رواه البخاري عن محمد بن جبير عن أبيه)

وتروي كتب السيرة النبوية أنه هبط على المسلمين في صلح الحديبية قريباً من سبعين من المشركين متسلحين يريدون غارة المسلمين فأسرهم المسلمون، ثم من عليهم عليه السلام .

و أسر ثعامة بن أثاث سيد بنى حنيفة فربطه الرسول عليه السلام بسارية المسجد ثم أطلقه فأسلم .

ولما قسم عليه السلام سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السبي ثابت بن قيس بن شناس فكتابته على نفسها قضى رسول الله عليه السلام كتابتها وزوجها

فداهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، وهذا يدل على جواز الفداء مقابل عمل كما يجوز مقابل مال .

قتل بعض الأسرى في حالات معينة :

تروى كتب السيرة أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر النضر بن الحارث ، وعقة بن أبي معيط صبراً . و قتل أبا عزة يوم أحد .

وإن قتل الأسرى لم يفعله الرسول ﷺ ، لم يفعله في جميع الأسرى ولم يفعله في كل معركة ، وإنما فعله في بعض المعارك مع بعض الأشخاص بخلاف الممن والفداء الذي فعله بالأسرى في كل معركة .

والذى سبب قتل هؤلاء الأشخاص خاصة هو أن الرسول ﷺ يرى فيهم بأشخاصهم الخطر ، الخطر المحقق لل المسلمين و للإسلام فهو قتل لأشخاص معينين لسبب خاص بهم . وعلى هذا فان قتل أشخاص معينين يعيّنهم حاكم المسلمين أمر جائز شرعاً ، فقد روى الإمام أحمد و البخاري عن أبي هريرة قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرق بهما في النار ، ثم قال حين أردنا الخروج « إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً و فلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوها » .

وبذلك يتبيّن أن القتل ليس من أحكام الشرع المطلقة في الأسير وإنما القتل في حكم الشرع في أشخاص معينين يرى حاكم المسلمين بأنهم خطر على الإسلام والدعوة الإسلامية أو المسلمين فيأمر بقتلهم ولو كانوا أسرى .

قصة استشارته عليه عليه الصحاّبة في أسرى بدر :

جاء في كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ، أن الرسول ﷺ استشار الصحابة في أسرى بدر فأشار عليه الصديق أن يأخذ منهم فدية تكون

★ البعث الإسلامي ★
فاعتق بي زوجه إياها مأة من أهل بيت بنى المصطافى إكراماً لصهر رسول الله ﷺ .

إطلاق سراح الأسرى مقابل قبول الفدية :

(الف) و أما من حيث مفاداته ﷺ بعض الأسرى بمال ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه فادي أسرى بدر بمال .

(ب) وأما من حيث مفاداته ﷺ بعض الأسرى بأسرى المسلمين ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه استوهد من سلمة بن الأكوع جارية نقله إياها أبو بكر في بعض معازيه فوهبها له أى للرسول ﷺ فبعث بها ﷺ إلى مكة ففدي بها ناساً من المسلمين . فقد روى مسلم عن إبراهيم بن سلمة عن أبي سلمة أنه قال : غزونا فزاره و علينا أبو بكر أمره رسول الله ﷺ علينا ، فلما كان يتنا و بين الماء ساعة أمرنا أبو بكر فغرسنا ثم شن الغارة ، فورد الماء فقتل من قتل عليه ، وسي ، و نظرت إلى عنق من الناس فيهم الذراوى خشيت أن يسبقونى إلى الجبل فرميت بسمهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ، بحثت بهم أسوقهم و فيهم امرأة من بنى فزاره عليها فشع من أدم (قال الفشع النفع) معها ابنة لها من أحسن العرب فسكنهم حتى أتيت بهم أبو بكر فنفلي أبو بكر ابنتها ، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً ، فلقيت رسول الله ﷺ في السوق ، فقال : « يا سلمة هب لي المرأة » ، فقلت : يا رسول الله والله لقد أحببته وما كشفت لها ثوباً ، ثم لقيت رسول الله ﷺ من الغد في السوق فقال : « يا سلمة هب لي المرأة أبوك » ، فقلت هي لك يا رسول الله ، فوالله ما كشفت لها ثوباً فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففدي بها ناساً من المسلمين ، كانوا أسرروا بعده .

(د) وأما من حيث مفاداته ﷺ بعض الأسرى مقابل معين ، فقد ذكر الإمام أحمد عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال فجعل رسول الله

وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فَكُوِّنَ العَافُ، وَأجْبَوَا الدَّاعِيَ، وَاطْعَمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضُ» .
وعندما وقع ثمامة بن أثال في أسر المسلمين وجاؤه إلى النبي ﷺ فقال:
«أَحْسَنُوا إِسَارَهُ» ، وقال «اجمعوا ما عندكم من طعام فابتعوا به إِلَيْهِ» ، فكانوا يقدمون
إِلَيْهِ ابن لقحة الرسول ﷺ ، غدوًا و رواحًا .

و قال ابن إِحْمَاق في غزوة بدر : و حدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار
أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسرى فرقهم بين أصحابه و قال : «استوصوا
بالأسرى خيراً» .

و قال أبو عزيز بن عمير مربى أخي مصعب بن عمير و رجل من الأنصار
يأسنفي ، فقال : شد يديك به ، فإن أمه ذات مداع اعلها تفديه منك . قال : و كنت
في رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر فكانوا إذا قدموا غدامهم و عشامهم خصوصي
بالخبز و أكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إِيَّاهُمْ بَنَا ، ما يقع في يد رجل منهم
كسرة خبز إلا نفحني بها . قال : فاستحي فأردتها على على أحدهم ، فبردها
على ما يمسها .

عدم جواز استرقاق الأسرى المحاربين و جواز استرقاق السبي (النساء والأطفال)

لقد ثبت أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يسترق السبي لا الأسرى
أي كان يسترق النساء والأطفال الذين مع الجيش في المعركة لا الرجال المحاربين
و لو ثبت الاسترقاق للرجال المحاربين لوقع ذلك منه صلي الله عليه وسلم ، وأما
ما روتة بعض كتب التاريخ من أن الرسول ﷺ قد استرق بني ناجية من قريش
ذكورهم وإناثهم و باعهم ، فإنه لم تروه كتب الحديث حتى ولا بعض كتب السيرة
كسيرة ابن هشام فلا يحتاج به ، على أنه لو صح ذلك فإن الرواية تنص على لفظ

لهم قوة على عدوهم وبطاقهم لعل الله أن يهدىهم إلى الإسلام ، فقال عمر : لا والله
ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن أرى أن هكذا فضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة
الكفر وصاديقها . فموى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم هو ما قال عمر :
فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله ﷺ يبكى هو و أبو بكر فقال عمر :
يا رسول الله من أى شئ تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكى وإن لم أجده
بكم تبكيت ليكائنا ، فقال رسول الله ﷺ «أبكي للذى عرض على أصحابك من
أخذهم الفداء ، لقد عرض على عذابه أدنى من هذه الشجرة وأنزل الله تعالى « ما كان
لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض .. الآية »

و قد نكلم الناس في أى الرأيين كان أصوب ، فرجحت طائفه قول عمر لهذا
الحديث ، و رجحت طائفه قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه و موافقته الكتاب
الذى سبق من الله باحلال ذلك لهم ، و لموافقة الرحمة التي غلت الغضب ولتشبيه
النبي ﷺ في ذلك بابراهيم و عيسى و تشبيهه لعمرو بنوح و موسى ، و الحصول الخير
العظيم الذى حصل بالسلام أكثر أولئك الأسرى و لخروج من خرج من أصلابهم
من المسلمين القوة التي حصلت ل المسلمين بالفاء و لموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولاً ،
و لموافقة الله تعالى له آخرًا ، حيث استقر الأمر على رأيه ، و لكال نظر الصديق
فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا و غابت أحاديث الرحمة مع جانب العقوبة .
معاملة الأسرى :

يحض الإسلام على معاملة الأسرى معاملة إنسانية رحيمة ، فهو يدعو إلى
إكرامهم و الإحسان إليهم و يمدح الذين يهرونهم و يثنى عليهم الثناء الجميل ، يقول
الله تعالى : « و يطعمون الطعام على جبه مسكيناً و يتيمها و أسيراً ، إنما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاماً و لا شكوراً » ، (سورة الدهر : الآية ٩)

★ البعث الإسلامي ★
و قد استرق بي ناجية ذكورهم وإناثهم ، فذكرت الذكور والإناث ولم تقل الرواية رجالهم و نسائهم فيحمل على النبي أى الأطفال ذكورا وإناثاً وهذا جائز ، و عليه فإن الرسول لم يسترق رجلاً أسيراً وإنما استرق النبي ذكورا وإناثاً .

و الواقع الثابتة في الأحاديث التي تعتبر حجة تؤيد ذلك فإن المتبع لأعمال الرسول يجد أنه لم يسترق رجلاً أسيراً مطلقاً لا من العرب ولا من غيرهم بل المرءى عنه أنه استرق النبي .
ففي معركة بدر لم يكن مع العدو نساء ولذلك لم يحصل النبي فيها وإنما حصل أسر النبي عليهم بالفداء . وفي معركة حنين خرجت هوازن تحارب الرسول وخرج منها النساء ، و لما انتصر المسلمين و فرت هوازن خلفت النساء والأطفال ورآها خصل النبي و وضع مع الأموال غنائم ، وفي بني المصطاق خلف العدو وراءه النساء خصل النبي ، وفي خير قتلوا و فتحت الحصون وأخذت النساء التي كانت مع المحاربين سبياً و ترك باق الناس نساء وأطفالاً و رجالاً الذين لم يشتراكوا في القتال ضد المسلمين .

فهذه الحوادث تدل على أن الرسول كان يأسر الرجال المحاربين ويسبي النساء اللواتي مع المحاربين وكذلك ما يصطحبوا من أمثال ، أما غيرهم من الرجال والنساء والأطفال من لم يكونوا في المعركة فلم يكن يقع عليهم أسر ولا سبي ، وهذا يدل على أن الرسول لم يسترق الأسرى و بهذا تبين أن الرسول ملائكة بالنسبة للأسرى حسب منطق الآية : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا انختموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد و إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » ، فالرسول ملائكة قد من في بعض الأحيان و أخذ الفداء في بعض الأحيان ، وإنه لم يسترق الأسرى و لم يقتلهم وإنما سبي النساء والأطفال ، و قتل أشخاصاً عخصوصين بأعيانهم ملائكة من خطر على المسلمين .

أما مسألة النبي التي تشبه على الناس بالأسرى فإن الناس في ذلك العصر كانوا يعتبرون النساء اللواتي يخرجن مع المحاربين والأولاد لتكتير سوادهم وتحميس رجالهم كاعتبار الأموال في إصطلاح الحرب ، فالاصطلاح الحربي كان يعتبر الغائم أموالاً و سبياً ، جاء الرسول ملائكة و أقر ذلك الاصطلاح فاعتبر النساء اللواتي يخرجن مع المحاربين كالأموال غنيمة من الغائم فتسترق و يجري عليها حكم الغائم لا حكم الأسرى و لهذا لا يكون استرقاق السبي استرقاقاً للأسرى بل يكون غنمة للسلدين من غنائم المعركة و يبقى حكم الأسرى هو تخدير الخليفة فيهم بين المن والفداء ليس غير ، و هذا الحكم باق إلى يوم القيمة .

و كلمة أسير إذا اطلقت ينصرف إلى الذكر المحارب ، و أما المرأة والطفل الذين يكوفون مع المحاربين في المعركة و يؤخذون من أرضها فإنه يطلق عليهم في اللغة النبي و ليس الأسرى .

تخبير الإمام في النبي بين الاسترقاق والاطلاق حسب ما يقتضيه الموقف بالنسبة للعدو :

إنه واقع ما حصل من الرسول أنه في غزوة حنين قد اصطحب المحاربون من المشركيين منهم نساءً وأطفالاً في المعركة لتكتير سوادهم وتحميس رجالهم ، فلما كسرروا في المعركة صار النساء والأطفال سبياً وقسمهم الرسول على المحاربين من المسلمين ، فلما روجع في هذا النبي استوهب المسلمين منهم من حق النبي عن طيب نفس ، و رد النبي إلى أهله ، فلما كان هذا دالاً على جواز استرقاق النبي و هو النساء و الصبيان الذين يصبحون الرجال في المعركة لتكتير السواد للتحميس ، و مع ذلك فإن الرسول ملائكة لم يسترق النبي في خير ، فإنه ملائكة حين غزا خير وانتصر على أهله ترکهم أحراراً و ترك الأرض تحت أيديهم يزرعونها على نصف غلتها ، قال أبو عبيد عن النبي : « إن الإمام خير فيهم ما لم يقسموا ، فإذا قسموا لم يكن

له عليهم سيل إلا باستهاب و طيب أنفس الذين صاروا لهم ، ك فعل رسول الله عليهما السلام بأهل حنين لم يرجع من أخذ منهم شيئاً إلا باستهاب و طيب من الأنفس لأنهم كان قد قسمهم ولم يفعل ذلك بأهل خير ولكنه تركهم أحرازاً ولم يستوهم بهم من أحد لأنهم لم يكن جرى عليهم القسم .

و أما غير النبي و هم الرجال المغاربون إذا أخذوا أسرى فان الرسول عليهما السلام لم يسترق أحداً منهم من ذكورهم مطلقاً و لم يصح أنه استرق أسيراً من الذكور المغاربين لا من العرب و لا من اليهود و لا من النصارى ، و كما سبق و إن أشرنا فان كلية أسير إذا أطلق تصرف إلى الذكر المغارب و أما المرأة و الطفل فإنه يطلق عليهم في اللغة النبي و ليس الأسرى .

و من ذلك يتبين أن الاسلام منع استرقاق الأسرى و خير الخليفة في النبي بين الاسترقاق و الاطلاق و ليس فيهم فداء ، كما فعل الرسول عليهما السلام في سبي حنين استرقهم ثم أطلقهم و كما فعل في سبي خير تركهم أحرازاً لا أسر و لا سبي ، و عمل حاكم المسلمين في مسألة استرقاق النبي إنما يسير بها حسب ما يقتضيه السياسة الحربية في معاملة الأعداء و ليس المقصود به الاسترقاق ، و إنما هو معاملة من معاملات الحرب التي ترك فيها الخليفة يفعل ما يراه و ما يقتضيه الموقف بالنسبة للعدو ، وبذلك فان الاسلام يقضي على الاسترقاق و لا سيما حين تبطل عند الناس عادة إخراج النساء والأطفال مع الجيش لنكثير السود و التحبيس في هذه الحالة لا يبق و لا حالة واحدة يحصل فيها الاسترقاق مطلقاً .

مجال للشك من الأحكام الشرعية الواضحة الدلالة العينة المراد ، وفي ذلك يقول النبي
الاكرم محمد ﷺ كلاماً جاء مروياً عن نعيم بن بشير ، قال : قال رسول الله ﷺ :
• الحلال بين و الحرام بين و ينهم مشتبهات لا يعلم كثير من الناس ، فمن انتقى
الشبهات استبرأ لدینه و عرضه ، و من وقع في الشبهات وقع في الحرام ، (١)
و جاء في حديث آخر ، عن الحسن بن علي قال : حفظت عن رسول الله ﷺ : « دع ما يريك إلى ما لا يريوك ، فان الصدق طمأنينة و إن الكذب
طنين » . (٢)

و قد أكَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ الْوَصِيَّةَ عَلَى صَحَابِيِّ جَلِيلٍ - وَ هُوَ وَابْنُهُ بْنُ مَعْبُودَ -
أَنْ يَرَاجِعَ نَفْسَهُ وَ يَسْتَفْتِيهَا هَلْ هِيَ مَطْمُمَةٌ إِذَا مَا رَاحَ النَّاسُ يَحْلُونَ الْحِرَامَ وَصَارُوا
يَقْتُونُ بِهِ :
عَنْ وَابْنِهِ بْنِ مَعْبُودٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا وَابْنَهُ ! جَئْتَ تَسْأَلُ
عَنِ الْبَرِّ وَ الْإِثْمِ ؟ قَلْتَ : نَعَمْ ! قَالَ (وَابْنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : جُمِعَ أَصَابِعُهُ ،
فَضَرَبَ بِهَا صَدْرِي ، وَ قَالَ : اسْتَغْفِرْتَ نَفْسَكَ ، اسْتَغْفِرْتَ قَلْبَكَ ثَلَاثَةً مَا اطْمَانْتُ إِلَيْهِ
النَّفْسُ ، وَ اطْمَانْتُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَ الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَ تَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ
وَ إِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ (۳) .

و لا شك أن الأعمال التي تنتهي على شئٍ ما من الأثم يتردد القلب السليم
في الأقدام عليها ، و ذلك التردد ربما يحول بين المرء و بين اتياه بذلك الأفعال ،
فاتفق لى أن جرى الحديث بيني و بين صديق لي ذي تجارة كبيرة فتوصلت إلى أن
ضميره لا يطمئن إلى « الربا التجارى » .

(١) حديث متفق عليه . (٢) رواه الترمذى و النسافى .

(٢) دواه أَحْمَد و الدارمي .

البارناتش نفوذه في الحياه والمجتمع

بعلم : الأستاذ عبد الرحمن الكيلاني (باكستان)
نعم بـ : الأستاذ نور عالم الأميني

حاول بعض الأصدقاء استثناء الفوائد التجارية (الربا التجارى) من نطاق
الحرمة التي ينطوى عليها الربا ، واعتبروا كلامي « لا تظلمون ولا تظلمون » في الآية
الكريمة شرطاً لحرمة الربا ، و لذلك فـأدخلوا « الربا التجارى » فيما تتضمنه صورة
« عن تراضي منكم » . ونلتمس من أمثال هؤلاء الاخوان - بكل أدب واحترام -
أن يربووا بأنفسهم عن موقف المستهزئين المنشين بالقرآن الكريم ، فان هذا الجزء
يدل على طريق ناجع للقضاء على المعاملات الربوية ، و لا يفتح « باباً خلفياً »
أو « طريقاً سرياً » للتعاطي الربوي - كما ظنه الاخوان - فالقرآن تدل واضح الدلالة
على أن الله سبحانه يحرم في الآية الكريمة الربا بأنواعه وأشكاله . يقول تعالى :
« و لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا
على الله الكذب . إن الذين يفتررون على الله الكذب لا يفلحون » (١) .

و قد فتحوا - عن طريق تأويلات باردة - باب الشك والارتياح فيما لا

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٦ .

توجه بها إلى الخير ، فقال دالاً على منهج الاصلاح الاجتماعي « فاستبقوا الخيرات » و قال : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، فقرر أن معيار الكرم ، و الشرف والعز ليست القطيفة و الحبيبة و لا الدرهم و الدينار ، وإنما هو الورع والتقوى ، غير أننا نحن المسلمين أهملنا هذا الجانب الأهم الأول كأهالنا المثل و القيم العليا الأخرى ، وأصبحنا نولي الثروة كل العناية و الاعتبار ، و نستجد بوسائل بريئة و غير بريئة للحصول على مأمولنا .

و لو اقتدينا النبي الأعظم محمدًا ﷺ و الخلفاء الراشدين و أصحابه الأخيار رضي الله عنهم ، و عشنا عيشة ساذجة خالية عن الازمات غير الازمة لكان لنا في ذلك كل غناء و كفاية .

و من الجدير باللحظة أن لأسلوب الحياة الذي يعيشـه زعماء قوم تأثيراً عميقاً واسعاً على ذلك القوم و على قيم المجتمع و مثله ، فإذا كان الزعماء مسرفين مترفين ، تقدى بهم الأمة في ذلك ، فتسرف و تبذـر ، وإذا كانوا مواسين للفقراء و عطوفاً على من يخـلـهم القدر في آبائهم من الأيتام الذين لا يجدون مأوى ، وعلى من سلبـنـ القدر بعولـهـنـ ، من الأرامل اللواتـيـ حرمنـ لذـةـ الـحـيـاةـ ، و يـؤـثـرـونـ السـذـاجـةـ وـالـبـسـاطـةـ فيـ حـيـاتـهـمـ ماـ يـسـتـطـعـونـ إـلـىـ ذـلـكـ سـبـيلـاـ ، إذاـ كانـ الزـعـمـاءـ مـتـمـسـكـينـ يـنـشـدـ علىـ حـاسـبـ أـهـدـافـ الـحـيـاةـ الـأـخـرـىـ الـأـصـيـلـةـ الـكـثـيـرـةـ ، وـ كـلـ ذـلـكـ زـادـ فيـ رـغـبـةـ جـمـعـ الـأـمـوـالـ وـ اـسـتـجـلـابـ الـذـهـبـ وـ الـفـضـةـ بـكـلـ حـيـلـةـ مـكـنـةـ ، إـلـاـ أـنـ الرـجـلـ العـادـيـ غـيرـ المـقـفـ مـضـطـرـ فيـ مـوـقـفـهـ إـلـىـ حـدـ ، بـحـكـمـ جـهـالـتـهـ وـ عـدـمـ مـعـرـفـتـهـ ، أـمـاـ المـقـفـ الـعـالـمـ بـالـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ . الـذـيـ تـفـتـحـ عـقـلـهـ ، وـ تـنـورـ رـأـيـهـ ، فـلـيـسـ لـهـ عـذـرـ مـعـقـولـ . وـ لـاـ نـسـطـيـعـ أـنـ نـعـالـ مـوـقـفـهـ إـلـاـ بـالـاحـطـاطـ الـقـوـيـ .

رضي الله عنهم ، فعاشوا حياة نموذجية في البساطة .

★ الربا و مناطق نفوذه في الحياة و المجتمع ★

و هذه الأحاديث المذكورة واضحـةـ فيـ نـحـرـمـ الـرـبـاـ التـجـارـيـ ، لـاـ يـقـ مـطـمعـ فيـ حـلـهـ ، غـيرـ أـنـاـ بـرـىـ الـكـثـرـةـ الـكـاثـرـةـ حـتـىـ الـمـتـدـيـنـ وـ الـمـتـورـعـينـ ، لـاـ يـتـحـاـشـونـ عنـ هـذـاـ الـأـمـ الـعـظـيمـ ، فـقـدـ قـالـ لـىـ أـحـدـ الـاخـوـانـ - وـ هـوـ يـحـاـوـرـنـ بـشـأـنـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ - إـنـ الـمـعـاـمـلـاتـ الـتـجـارـيـةـ لـاـ تـخـلـوـ مـنـ أـمـورـ تـضـطـرـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ أـنـ يـسـتـخـدـمـ مـنـ الـوـسـائـلـ مـاـ لـاـ يـطـمـئـنـ إـلـيـهـ قـلـبـهـ وـ لـاـ يـسـتـقـرـ عـلـيـهـ ضـمـيرـهـ عـلـىـ أـنـ الـأـمـورـ الـاضـطـرـارـيـةـ قـدـ شـفـعـهـ اللـهـ بـسـبـحـانـهـ بـالـمـسـاحـةـ مـاـ لـمـ يـكـنـ الـإـنـسـانـ بـاغـيـاـ وـ لـاـ عـادـيـاـ ، فـقـلتـ لـهـ :

طـيـبـ : وـ لـكـنـ توـسـعـ التـجـارـةـ - لـاـ شـبـاعـ نـهـمـ الـثـرـوـةـ وـ الـمـالـ - لـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـالـاضـطـرـارـ ، فـذـهـبـ يـأـتـيـ بـتـأـوـيلـاتـ بـارـدـةـ ، وـ النـفـسـ الـحـرـيـصـةـ الـمـاـكـرـةـ دـائـمـاـ تـخـلـقـ حـيـلاـ وـ تـدـاـبـرـ تـفـوقـ الـعـدـ وـ الـاحـصـاءـ .

وـ مـاـ يـعـثـ عـلـىـ الـأـسـفـ الـعـمـيقـ أـنـ هـنـاكـ شـرـكـاتـ مـحـدـودـةـ تـقـومـ بـطـبـعـ وـ نـشـرـ وـ تـوزـعـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـ الـسـكـتـبـ الـإـسـلـامـيـةـ وـ الـدـيـنـيـةـ ، تـسـتـوـفـ مـنـ أـنـاسـ كـثـيـرـينـ مـبـالـغـ رـبـوـيـةـ ، وـ تـرـوـجـ تـجـارـتـهـاـ وـ توـسـعـ نـطـاقـهـاـ ، وـ قـدـ أـخـذـ حـرـصـ الـدـيـنـارـ وـ الـدـرـهـمـ مـنـ الـجـمـعـ الـمـعـاـصـرـ كـلـ مـأـخـذـ ، وـ كـلـ يـؤـدـ أـنـ يـحـظـىـ بـأـوـفـرـ مـاـ يـمـكـنـ مـنـ الـحـظـ ، وـ أـنـ يـكـوـنـ لـدـيـهـ أـحـدـ أـنـاثـ ، وـ أـحـسـنـ طـرـازـ مـنـ الـأـمـتـعـةـ ، وـ أـصـبـحـ الـمـنـافـسـةـ فـيـ الـمـاـكـلـ وـ الـمـشـارـبـ وـ الـمـلـابـسـ ، وـ رـفـعـ مـسـتـوـيـ الـمـعـيـشـةـ ، غـايـةـ تـقـصـدـ ، وـ هـدـفـاـ يـنـشـدـ عـلـىـ حـاسـبـ أـهـدـافـ الـحـيـاةـ الـأـخـرـىـ الـأـصـيـلـةـ الـكـثـيـرـةـ ، وـ كـلـ ذـلـكـ زـادـ فـيـ رـغـبـةـ جـمـعـ الـأـمـوـالـ وـ اـسـتـجـلـابـ الـذـهـبـ وـ الـفـضـةـ بـكـلـ حـيـلـةـ مـكـنـةـ ، إـلـاـ أـنـ الرـجـلـ العـادـيـ غـيرـ المـقـفـ مـضـطـرـ فيـ مـوـقـفـهـ إـلـىـ حـدـ ، بـحـكـمـ جـهـالـتـهـ وـ عـدـمـ مـعـرـفـتـهـ ، أـمـاـ المـقـفـ الـعـالـمـ بـالـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ . الـذـيـ تـفـتـحـ عـقـلـهـ ، وـ تـنـورـ رـأـيـهـ ، فـلـيـسـ لـهـ عـذـرـ مـعـقـولـ . وـ لـاـ نـسـطـيـعـ أـنـ نـعـالـ مـوـقـفـهـ إـلـاـ بـالـاحـطـاطـ الـقـوـيـ .

أـمـاـ عـاطـفـةـ الـمـنـافـسـةـ وـ الـمـسـابـقـةـ ، فـهـىـ مـنـ صـمـيمـ الـطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ ، لـكـنـ الـإـسـلامـ

و مائين من الروبيات دون جهد و كد على حساب أخيه المحتاج ، فذلك ربا عند الشريعة الإسلامية ، ويسمون هذا الشكل (Discount) وهذه التجارة لا تتحقق في النطاق البنكي ، بل هي راجحة على الصعيدين الشخصي والرسمي كذلك .

وهناك أشياء كثيرة تباع بأقساط محددة شهرياً ، فثلا : المروحة السكرابائية ، و المكواة ، و قطاع الأرض ، و هذه الأقساط تكون طبعاً أكثر من الثمن المدفوع عاجلاً ، وأمثال هذه البيوع تدخل في نطاق التحرير لما يتضمن من الربا ، فلا بد أن تحرز منها نجاح المسلمين ، ففي غير ذلك لنا كفاية و متسع .
التأمين :

و من أشنع سيئات القرن العشرين هو التأمين ، ذلك الذي كاد أن يحيط بالمجتمع كله ، و هذه السيئة كأمثالها تخوضى برئاسة الحكومة وإشرافها ، حتى اضطر الشعب في بعض الدول إلى تأمين الحياة والأملاك ، وهناك شبكة الشركات تقوم بخدمة التأمين عبر أنحاء البلاد ، وكانت هذه الشركات فيما قبل تقصر على تأمين الحياة وحدها ، أما اليوم فوسيط نطاقها ، وهي تخدع الشعب الغر الساذج بفتاوي حصلت عليها من بعض الدوائر ، فلنحاسب لها كل الحساب ، و لا بد من الدراسة الشاملة الواجبة المادفة لعملية التأمين هذه و لعناصرها التركيبة .

التأمين و شروطه :

و شركات التأمين ، تقوم في الأغلب بتأمين الحياة والأملاك . من السيارات و الباصات ، و الطائرات ، والمصانع و ما إلى ذلك ، و صورته أن المرء إذا أراد أن يؤمن حياته مثلاً ، يقصد إلى شركة التأمين ، و مدير الشركة ، يدرس جسمه و يتحقق صحته ، ثم يتوصل إلى نتيجة ، و يقدر أن المرء مثلاً يحيى حياته الطبيعية إلى عشرين سنة من ذي اليوم ، ثم تم اتفاقية بين الشركة وبينه ، و المبلغ الذي يتحدد في هذه الصفقة ، يؤديه الرجل المؤمن إلى الشركة أقساطاً مع الشروط .

و الحقيقة أن المجتمع إذا تعود على الحياة الساذجة ، تلاشى الكثير من المفاسد والمساوى الأخلاقية التي يسبها اجشع في المال والمادة ، وهذاك فلا يندفع المجتمع وراء الدراما و الدنایر اندفاعه اليوم .

سندات التوفير (Saving Certificate)

راجت اليوم أنواع الربا ، بعضها تحت تصرف الحكومة و بعضها تحت تصرف البنك ، و البنك في الأغلب مؤمنة . فكل ذلك يرجع إلى الحكومة ، لا غير ، وعلى ذلك فكل ما يصنعه مراكز سندات التوفير القومية وغير القومية ، والودائع القومية ، يأتي في نطاق الربا الحرام .

التخفيض (Discount) .

و هناك نوع من الربا يقال له « Discount » ، و صورته أن يكون عند أحد شيك متأخر الوقوع (Post Date) لفريق ، و هو يحاول الحصول على المبلغ قبل حلول المدة ، فيمكنه أن يأخذ ذلك المبلغ من بنك أو من فريق بعد التخفيضيسير الذي ربما يفوق السعر الراهن .

وانضرب لك مثلاً في ذلك ، هناك مقاولون رسميون ، يقومون بعملية شحن شارع كبير بالشاحنة مثلاً ، و صاحب الشاحنة يأخذ السندي على كل شخصية ، على أنه يتناقضى الأجر المحدد بعد أسبوع مثلاً ، واجتمع عنده خمسون سنداً فحدث أن صاحب السيارة واجهته حاجة ملحة عاجلة يحتاج في سدها إلى المبلغ ، وقد يقع في الموعد الذي يتناقض فيه أجوره أربعة أيام أو خمسة أيام أو . . . فاضطر إلى أن يبيع هذه السنديات من صاحبه على أقل من سعر كل سندي ، فثلا سعر كل سندي خمس و ثلاثون روبية ، و هو يبيعه بثلاثين روبية ، و صاحب السيارة مضطر أن يواجه هذه الخسارة لأن صاحب حاجة ، وأما المشتري لهذه السنديات فيربح بخمسين

البعث الإسلامي ★

و إن اضطر أحد إلى ألا يتبع دفع أقساطه الباقية لعذر حل به ، فإن
الشريعة لا تسمح بمحرر و تجميد أقساطه المدفوعة لا جلها ولا كلها .
وبالاضافة إلى هذه المفاسد ، هناك شئ آخر هام ، أشنع من تلك المفاسد ،
و هو أن صاحب التأمين لا يدرى لدى تمام العقد كم قسطاً يدفعه مما لا يدفعه ،
كما أن الشركة لا تدرى ماذا عسى أن تناوله من هذه الأقساط المحددة ؟ وإن فان
هذه الصفقة صفقة الغرر و الخداع التي لا تجوز أبداً .

تحديد المنح (Prize Bound) :

و لما كان الربا و القمار من الحرمة بالمكان الذي لا شبهة فيه ، ففتح الذين
يمارسونهما حكومات وأفراداً ، طرقاً جديدة ، بتغيير في الصورة والأسلوب والمنجز ،
حتى يستطيعوا أن يتصدروا القوم بنفس الحبالة ، على حين تماجم الحكومة على مخابي
القامار و المخوازيت من حين آخر ، أما حلبة سباق الخيل (Race Course)
و اليانصيب (Lottery) ، وما إلى ذلك - و إن كانوا من أنواع القمار
المحرم - فيما مسموح بهما لدى الحكومة ، لأن المزاولين لأمثال ذلك هم المتورون
و «المذبون» ، أما عند الشريعة الإسلامية فليس إلى جوازه من سبيل ، فالشئ
هو الشئ و لو سميت بألف الأسماء .

و طريقة تحديد المنح الرائجة اليوم نوع من القمار و الربا ، قد حاولت
الحكومة أن تختص ما في أيدي الشعب دون أن تطلق اسم الربا ، فاختلت هذا
الاسم الحلو البريئ ، لكن الحقائق لا تتغير بتغيير الأسماء ، فالجوائز التي توزعها
الحكومة بعد كل شهرين إنما هي في الواقع ربا المبلغ الذي يكون قد تجمع في مدة
شهرين ، والذي لا يوزع على جميع المساهمين على السواء ، و إنما يخص به البعض
على حساب البعض عن طريق الاقتراض . (يتبع)

و التروط في الأغلب كالي : ★
١- لو طالت حياة صاحب التأمين إلى المدة المحددة ، وقد أدى جميع
القساط إلى الشركة ، لتعد الشركة هذه المبالغ كلها إلى الرجل مع سعر الربا المحدد
و أصطلحت هذه الشركات أن تسمى هذا الربا بالمكافأة الموسمية .
٢- ولو مات صاحب التأمين خلال مدة التأمين حتف أنه أو لوجه آخر
من الوجه ، توقي الشركة المبلغ المدفوع إليها حتى الآن مع سعر الربا إلى ورثائه
الذين يسمهم هو لدى عقد التأمين ، و ما يجدر باللاحظة أن سعر الربا يرتفع على
قدر قلة مدة أداء الأقساط .

٣- وإن امتنع صاحب التأمين عن دفع الأقساط عن قصد أو عن عذر ،
فالقساط المدفوعة من ذي قبل تعتبر محجوزة بمقدمة لحساب الشركة ، إلا أن
يستأنف صاحب التأمين أداء الأقساط بالإضافة إلى أداء الأقساط المهملة إلى هذه
المدة في دفعه واحدة ، و إذن فينال ٦٠٪ (ستين في المائة) من أقساطه كلها ،
بعد ما يستأنف سياسة الاستسلام (Surrender Policy) .

تحليل سياسة التأمين :

و هذه الشرط نفسها تعتبر ، غالباً ، في تأمين الأموال و العروض .
ولو تأملنا في سياسة التأمين لوجدناها تتألف من ثلاث معاصر عظيمة الخطأ :
فالشرط الأول صريح في كون هذه الصفقة صفقة ربوية ، و لا يشك في
تحريمها أحد .

و الشرط الثاني ينطوى على القمار ، فإنه إذا مات أحد ولم يود من أقساطه
إلا بعضها ، فكيف ينال ورثاؤهم أكثر بأضعف مما أداه هو ؟ ! و كلنا يعرف جيداً
أن الحصول على المبلغ الخطير اتفاقياً بعد الجهد القليل هو القمار .

يتجمع عليه من مبلغ الربا ما يقصم ظهره ويستغرق جميع ممتلكاته أو عقاراته في بعض الأحيان ، فلا ينجو من مطالبات البنك إلا بدفع هذه الممتلكات أو العقارات . هذه واحدة ، وهناك شكل آخر وهو أن البنك يدفعفائدة محددة على ودائع التوفير (Saving Accounts) وذلك لأن البنك يضع هذه الودائع في التجارة ويقرر فيها سهاماً محددة من الربح . سواء خسر أو ربح أو تضاعفت الأرباح والخسائر ، ولكن البنك مسؤول عن دفع الفائدة المقررة لصاحب الوديعة بالنسبة المئوية ، و تلك الفائدة المقررة هي الربا الحرام .

ولا شك أن النظم الاقتصادية والتجارية الحديثة كلها مكبلة بالربا بأى شكل من أشكاله و قد يتضرر على أصحاب التجارات والمؤسسات الاقتصادية أن يتبنوها تماماً ما داموا يسايرون الاتجاهات السائدة و يتبعون هذه النظم ، و يتعاملون معها رغم إنكارهم الفوائد الربوية و كراهيتهم لها ، و هم يزعمون أنهم إذا انفصلوا عن الركب التجارى المعاصر و حاولوا تطهير معاملاتهم من الفوائد لواجهوا في ذلك من العرائيل ما يهدى تجارتهم بالخسارة أو الانقراض ، فائهم لا يتعاملون مع الشركات و البنوك ذات الفوائد الربوية و لا يساهمون في التجارات من هذا النوع إلا بحكم الاضطرار و يستدلون في ذلك بسماح الله تعالى في كتابه بممارسة الحرام عند الاضطرار حينما يقول : « إلا ما اضطررتم إليه » .

وأعتقد أن هذا الاضطرار ليس هو الاضطرار الذي أرادته الشريعة الإسلامية . يقول محمد بن جرير الطبرى في تفسيره « إلا ما اضطررتم إليه » فإنه يعني تعالى ذكره أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرمة التي بين تحريمها لنا في غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا إليه مضطرين حتى تزول الضرورة ، حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قادة « إلا ما اضطررتم إليه » من الميتة .

(تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٧٠ - ٧١)

تطهير المجتمع من جميع أنواع الربا بمقدار الضرر إلا لسعادة الفردية والاجتماعية

سعيد الأعظمي الندوى

بلغ التعامل الربوي في النظام الاقتصادي الحديث في جميع المجالات الحيوية من الشمول إلى درجة قصوى ، حيث لم يعد أفراد المجتمع – إلا من عصمه الله – يعيشون لفحة من لفحته ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، و نتيجة لهذا الشمول الهائل ثارت أسئلة واستفتiamات حول مسألة الربا من مختلف طبقات المسلمين أفراداً و جماعات يتسامون فيها إذا كان هناك طريق يبرر التعامل مع البنوك و المؤسسات التي تعامل بالفوائد الربوية .

و نظراً إلى بلوى الربا العامة و تغلغل هذه المصيبة في جميع شعب الحياة حيث يتسرر التوقي منها ، و خاصة في المعاملات التجارية و الاجرامات الاقتصادية أقبل العلماء و الفقهاء على دراسة الموضوع من جميع نواحيه وأطرافه ، و ما تقوم به المصارف العامة من أشكال التعامل مع الناس كنقل النقود من بلد إلى بلد ، و شراء البضائع و بيعها لحساب عملائها مقابل المساعدة ، و حفظ الودائع من غير فوائد ، و إعطاء القروض لمن يطلبها من البنك .

وفي هذا الشكل من معاملات القروض المصرفية مشكلة لأن البنك لا يمنح القرض إلا مقابل فائدة محددة ، قد تبلغ هذه الفائدة إلى عشر بالمائة أو فوق العشر و تلك هي الطامة الكبرى التي لا يكاد يخلص منها المقترض و يعلى له البنك حتى

فالفوائد التي تحددها القوانين الصادرة عن سلطة شرعية حلال لا شبهة فيها ، وسلامة المجتمع تحض على التعامل بها ، أما ما زاد عنها فهذا هو الحرام الذي لا يشك في حرمتها (١) .

إن هذه الآراء وأمثالها التي ظهرت في هذا العصر ولا تزال تظهر من بعض الجهات الدينية أو غيرها ليس لها أى قيمة بازاء النصوص الصريحة التي سدت جميع نوافذ الربا و عطلت جميع أنواعه بأى لون تظاهر ، ولم ترك أى مساغ للتفكير فيه من جديد ، و التحليل لبعض أشكاله و صوره ، فكل فاندة ينطق عليها معنى الربا فهي حرام ، بأى اسم سميت ، وكل ربح لا يدخل في حد الربا فهو حلال طيب لا مغنم فيه .

إن بعض الآراء التي ذهبت ببحث رخصة أو مندوحة في باب الربا وتزول آيات الربا باليسير و الكثير فانها لم تقف عند كل آية وقفة متأمل ، ولم تفك في الربط فيما بين الآيات . حيث إن الله تعالى لم يحرم الربا تحريراً كلياً إلا في المرحلة الرابعة و ذلك هو شأن القرآن في منهجه التعليمي حينما يحارب رذيلة من الرذائل التي تأصلت في النفوس و صارت للجتماع كتراث يتوارثه جيلاً بعد جيل فإنه لا يأخذها بالعنف و التشديد و إنما يتلطف في ذلك نحو الاصلاح الذي يتحققه تدريجياً . اقرأوا معنى هذه الآيات الأربع بالسلسل التاريخي و تأملوا فيها حكمة محاربة رذيلة الربا و تكريمه إلى النفوس ثم التحرير القطعي .

١ - وما آتیتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتیتم من زكاة تزيدون وجه الله فأولئك هم المضطرون (الروم / ٢٩) .

٢ - فبظلم من الذين هادوا حرموا عليهم طيات أحلت لهم و بصدمة تن

(١) فتحي عثمان : الفكر القانوني الإسلامي بين أصول الشريعة و تراث الفقه ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

أما من يعتقد أنه رغم تحريم الربا أو ما يسمى بالفوائد و كراهيته الشديدة للتعامل مع البنوك و المؤسسات التجارية الحديثة مضطر إلى التعامل معها لتسهيل تجارةه و متابعة أعماله و نشاطه الاقتصادي فإن ذلك لخداع عظيم ، إذ أنه ليس مضطراً في الحقيقة بل يستطيع أن يشغل بأعماله التجارية متجنباً جميع الجوانب الروبية و منكرآ كل الأشكال المشتبه و مع التمسك بما هو حلال طيب .

و قد انخدع بعض العلماء و الفقهاء في موضوع الربا فزعموا أن الربا المحظوظ في الشريعة الإسلامية بالنص والاجماع هو الذي يصل إلى مثل رأس المال أو يزيد عليه ، و أن كل ربح ينقص عن مقدار رأس المال فهو محل بحث و اختلاف في نظرهم ، و لعل هذه الفكرة نشأت عندهم بما قد أخطأهم المفهوم الصحيح لمعنى ما جاء في آية الربا من قوله « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

يقول أصحاب هذا الرأي : إن المنهى عنه ليس مطلق الربا لأن مفهوم الربا مطابقاً هو الزيادة و ربح التجارة نفسه زيادة ، فارتئى هو لام تخصيص المطلق بالنهى عن ربا الأضعاف المضاعفة ، وهناك من قال : إننا نستطيع أن نحيّن بعض أنواع الربا على أساس أن المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية غير قائمين بصورة متكاملة ، وهذا من قبيل « الضرورات تبيح المخطورات » ، وإلى هذا ذهب الأستاذ محمد رشيد رضا ،

ويرى الأستاذ محمد على علوبه (١) : أن تأخر المسلمين الاقتصادي في الهند وغيرها من بلاد المسلمين منسوب إلى تقصيرهم في إنشاء المصارف و جمودهم في عدم التعامل

بالفائدة و التضييق في فهم دينهم على غير ما يريد ، و لذلك أباحت الخليفة العثمانية وليران و مصر التعامل بالفوائد المعتدلة نظراً للضرورات الاقتصادية الملحة ، وهو بعد هذا يقول : إن المباح شرعاً في أمر الفوائد هو الذي يقرره ولي الأمر المسلم ،

(١) محمد علي علوية : مباديء في السياسة المصرية .

الاجتہاد فی العالم المتغیر . فانه من الأمور المهمة التي يحررها الكتاب والسنۃ بالنصوص القطعية التي لا تقبل أى تأویل أو تلیین ، أما ما يقال من بعض الجهات من أن الحياة المتغيرة المتغیرة تفرض التوسع في المسائل الفقیہة و توكد إعادة النظر فيها فذلك قول مقبول في المسائل الاجتہادية ، ولكن الذى ثبت حرمته بالنص القطعی الصريح فلا مساغ فيه للتأویل والاجتہاد والتفكير من جديد .

وإن هناك محاولات سرية من أصحاب الشركات والتجارات الربوية والمصارف المرابيۃ التي انتشرت في العالم المعاصر بسرعة هائلة لأن ينشؤوا عقلية مرضية في المسلمين أنفسهم و في علمائهم بصفة خاصة تخضع أمام الظروف ، و تتحجّل طرقاً و أساليب تخفّف من وطأة الربا و شناعته بتغيير أسمائه و أشكاله و تعبيراته المعروفة ، و ذلك اتزویج صناعة الربا في المجتمع الإسلامي و تكديس ثرواته في أيديهم ، و تقرب المسلمين إلى الشقاء الاقتصادي و الخواص الروحی والمادی ، فيخسروا الدين بمخالفتهم أوصار الله والجھر بمعاصيه ، ويختسروا الدنيا بمخالفتهم المعاملات الربوية التي تنتص دماءهم وأموالهم ، و تستنفذ جهودهم و طاقاتهم .

إنها موافقة قد لا يتضمن إليها إلا من يدرس الأوضاع بعمق وبصيرة ، و يطلع على مکايد العقل الغربي الماکر و مزائق الشهوات التي يصنعها ثم يزيّنا ل المسلمين في كل أنحاء العالم .

يقول الشهید الأستاذ سید قطب و هو يشرح آيات الربا الأخيرة في خلال القرآن .

« ولم يبلغ من تفظیع أمر أراد الـلام إبطاله من أمور الجاهليۃ ما بلغ من تفظیع الربا ، و لا بلغ من التهديد في اللفظ و المعنی ما بلغ التهديد في أمر الربا - في هذه الآيات و غيرها في مواضع أخرى - و له الحکمة البالغة ، فلقد كانت

سبیل الله كثیراً وأخذهم الربا وقد هوا عنه و أكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرین منهم عذاباً أليمَا (النساء ١٦٠ - ١٦١) .

٣ - يا أئمۃ الـین آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة و اتقوا الله لعلکم تفلحون و اتقوا النار التي أعددت للكافرین (آل عمران / ١٣٠ - ١٣١) .

٤ - الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشیطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع و حرم الربا ، فلن جامه مواعظه من ربہ فانتهى فله ما سلف ، و أمره إلى الله ، و من عاد فأولئک أصحاب النار هم فيها خالدون ، يتحقق الله الربا و يربى الصدقات و الله لا يحب كل كفار أئمۃ ، إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات و أقاموا الصلاة و آتوا الزکاة لهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ، يا أئمۃ الـین آمنوا اتقوا الله و ذروا ما يبق من الربا إن كتم مؤمنین ، فان لم تفعلوا فأذنو بحرب من الله و رسوله ، و إن تبتم فلکم رؤس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون . (سورة البقرة الآیة : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩) .

أنظروا كيف يحارب القرآن رذيلة الربا بتقليل قيمته أولاً و رفع قيمة الزکاة بازاتها كأنه يهدى الطريق إلى وضع الحد عليه ويدرك النهي في الآية الثانية ، ويدرك عقاب الله تعالى بمعصية اليهود حينما أخذوا الربا بعد النهي عنه ، و يتقدم فيخاطب المؤمنين و ينهیم عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة ، مما قد ترأى لبعض العقول أن الربا المنهى عنه هو ما يكون أضعافاً مضاعفة ، و ما لم يكن كذلك و يكون قليلاً فلا حرمة فيه ، على أن ذلك أسلوب القرآن التدرج نحو الغایة الأصلیة التي هي الحرمة القطعية المطلقة ، والتي أعلن عنها في الآيات المذکورة الأخيرة في رقم ٤ . لا ينبغي أن نعتبر موضوع الربا بأى شكل كان ، من المواضیع التي تتطلب

حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج.

الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى
رئيس تحرير جريدة الرائد الهندية

[الحلقة الثانية]

المنهج الدراسي عبر العصور :

من المنهج الدراسي في مختلف العصور بتعديلات يسيرة ، و حلت كتب جديدة محل كتب قديمة ، كما أجرى تعديل في المواضيع ، وكانت المواضيع تزال الأرجحية حسب تغير الظروف ، فكانت مواضيع تزال التشجيع من الأمراء والسلطانين و العلماء و مواضيع أخرى تهمل على نفس الأساس ، إلا أن المواضيع التي نالت اهتمام العلماء مدة طويلة كانت علوم اللغة و الفقه و قدرًا من العلوم العقلية التي كانت الشغل الشاغل للعلماء بين القرن السابع إلى القرن التاسع ، و ذكر العلامة الشيخ عبد الحفيظ الحسني في كتابه « الثقافة الإسلامية » كتبًا مقررة في هذا العهد ، و التي كانت تعتبر الشرط اللازم للفضيلة ، فمن الكتب المقررة في الحو « المصباح » و « الكافية » و « لب الألباب » وفي « الفقه » و « المتفق » و « مجمع البحرين » و « القدورى » و « الهدایة » وفي أصول الفقه « الحسامي » و « المزار » و « شروحه » و « أصول البزدوى » و في التفسير « المدارك » و « البيضاوى » و « شرح الصحائف » .

وفي الحديث « مشارق الأنوار » و « مصايف السنّة » و في الأدب « مقامات

تطهير المجتمع من جميع أنواع الربا .

البث الإسلامي ★
للربا في الجاهلية مفاسده و شروره ، ولكن الجوانب الشائنة القبيحة من وجوبه الكالح ما كانت كلها بادية في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم و تكشفت في عالمنا الحاضر ولا كانت البثور الدمامل في ذلك الوجه الدميم مكشوفة كلما كشفت اليوم في مجتمعنا الحديث .

فهذه الحلة المفزعـة البـادـية في هـذـه الآـيـات عـلـى ذـلـك النـظـام المـقـبـل تـكـشـف الـيـوـم حـكـمـهـا عـلـى ضـوـء الـوـاقـع الـفـاجـع فـي حـيـاة الـبـشـرـيـة أـشـدـاـمـاـ كـانـتـ مـتـكـشـفـةـ فـيـ الجـاهـلـيـةـ الأولى ، و يـدرـكـ - مـنـ يـرـيدـ أـنـ يـتـدـبـرـ حـكـمـ اللهـ وـ عـظـمـهـ هـذـاـ الـدـينـ وـ كـالـ هـذـاـ المـنـهـجـ وـ دـقـةـ هـذـاـ النـظـامـ - يـدرـكـ الـيـوـمـ مـنـ هـذـاـ كـالـ مـاـ لـمـ يـكـنـ يـدـرـكـهـ الـذـينـ وـ اـجـهـواـ هـذـهـ النـصـوصـ أـوـلـ مـرـةـ ، وـ أـمـامـهـ الـيـوـمـ مـنـ وـاقـعـ الـعـالـمـ مـاـ يـصـدـقـ كـلـ كـلـةـ تـصـدـيقـاـ حـيـاـ مـيـاثـرـأـ وـاقـعاـ ، وـ الـبـشـرـيـةـ الضـالـلـةـ إـلـىـ تـأـكـلـ الـرـبـاـ وـ تـوـكـلـهـ تـنـصـبـ عـلـيـهـ الـبـلـاـيـاـ المـاحـقـةـ مـنـ جـرـاءـ هـذـاـ النـظـامـ الـرـبـويـ ،ـ فـيـ أـخـلـاقـهـاـ وـ دـينـهـاـ وـ صـحـتهاـ وـ اـقـصـادـهـاـ وـ تـلـقـيـ - حـقـاـ - حـرـبـاـ مـنـ اللـهـ تـنـصـبـ عـلـيـهـ النـقـمـةـ وـ الـعـذـابـ أـفـرـادـأـ وـ جـمـاعـاتـ وـ أـئـمـأـ وـ شـعـوبـاـ ،ـ وـهـيـ لـاـ تـعـتـبـرـ وـلـاـ تـقـيـقـ .ـ (ـ فـيـ ظـلـالـ الـقـرـآنـ جـ ٣ـ /ـ صـ ٧١ـ)ـ وـ بـعـدـ هـذـاـ كـالـ فـلـىـ الـرـبـاـ إـلـىـ نـظـامـ الـحـقـ وـ السـحـقـ وـ إـنـ كـانـ لـاـ يـدـوـ وـ جـهـ الـكـالـحـ إـلـاـ بـعـدـ مـارـسـةـ يـسـيـرـةـ ،ـ وـ الـمـسـلـمـونـ عـنـدـهـ الـنـظـامـ الـاـقـصـادـيـ الـنـزـيـهـ الـكـامـلـ الـذـىـ يـتـكـفـلـ الـنـزوـ وـ الـزـيـادـةـ وـ الـرـبـعـ الـمـطـلـوبـ فـيـ الـمـعـاـمـلـاتـ الـتـجـارـيـةـ ،ـ وـ هـمـ فـيـ كـلـ عـصـرـ وـ مـصـرـ فـيـ غـنـيـ تـامـ عـنـ كـلـ مـنـهـجـ يـنـتـمـيـ فـيـ قـلـيلـ أـوـ كـثـيرـ إـلـىـ الـنـظـمـ الـوـضـعـيةـ الـتـىـ صـنـعـهـاـ الـبـشـرـ فـيـ شـئـيـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ .ـ



فروجا العلوم العقلية في هذه البلاد ، و ما كان قبلها في نظام الدرس غير شرح الصحائف في الكلام ، و غير شرح الشمسية في المنطق .

و قد أضيفت في هذا العهد كتب أخرى مثل « شرح الوقاية » و « شرح الصحائف » .
« الكافية » لأن العلماء الذين وفدوا من خراسان كانوا من تلاميذ السيد الشريف ومن أصحاب التفتازاني و بعضهم من تلاميذه العارف الجامى ، فادخلوا كتب أساتذتهم في نظام الدرس

و كان هذا العهد عهد ازدهار المنطق و الكلام . و صارت مؤلفات الححقق
الدوافى و الصدر الشيرازي و مرزاجان متداولة .

الطبقة الثالثة .

كانت بضاعة العلماء من الحديث ضئيلة إلى القرن العاشر للهجرة ، فلم يكونوا
يعلمون غير المغارق و المصايح ، فوق بعض الناس للسفر إلى الحجاز و أدركوا
بها محدثين ، فأخذوا عنهم الحديث و جاؤوا إلى الهند كالشيخ محمد بن طاهر بن علي
الفى (م ٥٩٨٦) صاحب « بجمع بحار الأنوار » و الشيخ يعقوب بن حسن
الكميرى و الشيخ عبد النبي الكنكوهى ، فنشأت بعض المراكز لتدريس الحديث في
مختلف أنحاء الهند إلا أن أغلب بلاد الهند كانت غير عامرة بهذا العلم الشريف .
فجاء الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى (م ١٠٥٢) و تصدى للدرس
و الأفاده (١) .

و لكن لسوء الحظ لم ينزل هذا العلم القبول العام فكان هذا الشرف حلـيف
الشيخ ولـي الله الـدهلوى . إلا أن فضل نقل هذا العلم يرجع إلى الشيخ عبد الحق
الـدهلوى في القرن الحادى عشر للـهـجـرـة .

(١) أول من نـشر علمـ الحديثـ فيـ الهندـ تـصنـيفـاً وـ تـدـريـساً ، أـخـذـ الحديثـ فيـ مـكـةـ المـكرـمةـ عنـ الشـيخـ عبدـ الوـهـابـ عـزـيزـ اللهـ بـلـدةـ سـنبـهـلـ ، كـانـاـ منـ العـلـامـ الـكـبـارـ فيـ عـمـدـ السـلـطـانـ إـسـكـنـدـرـ الـلـوـدـيـ

★ البعث الإسلامي ★
الحريري ، التي كانوا يحفظونها وفي المنطق « شرح الشمسية » و في الكلام « شرح

و من هذا المنطق يتضح أن الفقه كان ينال الدرجة العليا من العناية و ذلك
لأن القضاء الشرعي في هذا البلد المتراوح الأطراف كان يتطلب هذه العناية و كانت
اللغة والأدب و شئ من المنطق يساعد على تولي مناصب إدارية عليا و قد وجـدتـ
العنـاةـ إـلـىـ الـأـدـبـ كـاـ كـانـ تـوجـهـ فـيـ أـوـاـئـ الـعـصـرـ العـبـاسـيـ ، حيثـ كـانـ الـكـتـابـ
وـ الـأـدـبـ يـحـتـلـونـ مـنـاصـبـ عـالـيـةـ أـمـاـ الـفـارـسـيـ إـلـىـ كـانـ الـلـغـةـ الرـسـمـيـةـ فـقـدـ كـانـ تـدـرـسـ
فـيـ الـمـرـحلـةـ الـأـوـلـىـ وـ الـمـتوـسـطـةـ مـنـ الـتـعـلـيمـ ، فـكـانـ الـعـلـمـاـ يـرـعـونـ فـيـ الـفـقـهـ وـ أـصـوـلـهـ
فـيـ هـذـاـ عـصـرـ .

يقول العـلـامـ عبدـ الحـيـ الحـسـنـ إـنـ الـفـقـهـ كـانـ عـمـدـ بـضـاعـتـهـ ذـاكـ الـيـومـ وـ لـذـاكـ
كـثـرـتـ فـيـهـمـ الـفـتاـوىـ ، وـ الـرـوـاـيـاتـ ، وـ كـانـ قـصـارـىـ نـظـرـهـ فـيـ الـحـدـيـثـ «ـ مـشـارـقـ
الـأـنـوـارـ ، لـلـصـاغـرـ »ـ ، فـاـنـ تـرـفـعـ أـحـدـمـ إـلـىـ مـصـايـحـ السـنـةـ لـلـبـغـوـيـ ظـنـوـاـ ، أـهـهـ قـدـ وـصـلـ
إـلـىـ دـرـجـةـ الـمـحـدـثـينـ .

الطبقة الثانية :

فـأـوـاـخـرـ الـقـرـنـ النـاسـ خـرـجـتـ مـلـتـانـ ، وـ خـرـجـ الـعـلـمـاـ فـتـوـجـهـ كـثـيرـ مـنـهـمـ
إـلـىـ دـهـلـيـ وـ رـحـبـ بـهـمـ السـلـطـانـ إـسـكـنـدـرـ بـنـ بـهـلـولـ الـلـوـدـيـ مـلـكـ الـهـنـدـ وـ أـكـرـمـهـ ،
فـكـانـ مـنـهـمـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ العـمـانـيـ التـلـبـيـ ، وـ أـخـوـهـ عـزـيزـ اللهـ وـ هـوـ مـنـ تـلـامـيـذـ
الـشـيـخـ عـبـدـ اللهـ الـيـزـدـيـ ، شـارـحـ تـهـذـيبـ الـمـنـطـقـ فـأـدـخـلـ الـمـطـالـعـ وـ الـمـوـاـفـقـ ، وـ مـفـتـاحـ
الـعـلـمـ لـلـسـكـاكـيـ فـيـ دـرـوـسـ الـعـلـمـاـ فـتـلـقـاهـاـ النـاسـ بـالـقـبـولـ وـ صـارـتـ مـتـداـوـلـةـ فـيـ زـمـانـهـ .

قال عبد القادر البدايوني في تاريخه إن الشيخ عبد الله التلبي بدھلی و الشيخ
عزیز الله ببلدة سنبله، كانا من العلامة الكبار في عهد السلطان إسكندر اللودي

و يدل استعراض لهذا المنهج على أن عشرة كتب في المنطق ، خمسة في الكلام و ثلاثة في الحكمة كانت تدرس .

ويقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني عن المنهج النظامي : كان التفسير يستغرق وقتاً أطول قبل إدخال الكتب في المنطق و الفلسفة فكان المنهج يشمل الكشاف و المدارك و الجلالين ، لكن حذف الكشاف من المنهج لافساح المجال لكتب المنطق و الكلام واقتصر في التفسير على الجلالين ، والمدارك ، حيث إن الشيخ نظام الدين صاحب المنهج النظامي (١١٦١ھ) كان ينتمي في النسب العلوي إلى الشيخ فتح الله الشيرازي ، أدخل في منهجه كتب المنطق و الفلسفة و وجه إليها أكثر اهتمامه و أولى العلماء هذا الموضوع اهتماماً و تهاfovوا على شرح هذه الكتب وتلخيص و تفصيل الشرح عليها حتى إنه كان يعد من الفضل العلمي التعليق على كتب المنطق و الكلام (١) .

و أكبر دليل على ذلك كتاب « سلم العلوم » للقاضي بحب الله بن عبد الشكور الباري الذي تلقاه العلماء بالقبول ، فوضعه في الدرس و شرحه كثير من العلماء و يبلغ عدد الشرح و الحواشى بأقلام علماء الهند على هذا الكتاب وحده حوالي أربعين مؤلفاً ، كما في « الثقافة الإسلامية » علاوة على الشرح و الحواشى الكثيرة التي عاقمتا العلماء على كتب أخرى في المنطق ككتاب « معراج الفروم » و المرقاة و « سلم العلوم » و « الدرة البهية » وهي اختصار الشمسيّة ، والدر المنظور للولوبي تراب على الخيرآبادى (١٢٤٢ھ) و أعطاه أمير مدراس سبعة آلاف رويبة صلة لذلك الكتاب و غير ذلك من كتب كثيرة ، أما شروح كتب التفسير فتبلغ عشرين ، ١٦ منها على البيضاوى ، و شرح للكشاف و شرح للمدارك و شرحان للجلالين

(١) نظام التعليم و التربية للشيخ مناظر أحسن الكيلاني .

كان الشيخ ولد الله أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالمحبوب الدهلوى صاحب حجّة الله البالغة ، (م ١١٧٤ھ) و أشهر عالم لهذا العصر ، وقد زار الشيخ ولد الله الدهلوى الحجاز وقرأ الحديث الشريف على الشيخ أبي طاهر المدى عدة سنوات و أكل الدراسة و عكف على نشره و خدمته في الهند و نشط فيه خلف آثراً خالداً ، لا يزال يلمس رغم كсад السوق ، ولا أكون مبالغأ إذا قلت إن درس الصلاح السنة و تدريسها في الهند مدين كلباً لخدمته ، و يرجع أصله إلى عهده و قد بذل الشيخ ولد الله الدهلوى و أخلفه الصالحون البررة حياتهم كلها في خدمة هذا العلم و نشره .

و أعد الشيخ ولد الله الدهلوى حسب ذوقه و فكره منهاجاً جديداً ، و لكن مركز التقليل العلمي في ذلك العهد كان قد انتقل من مدينة دهلي إلى لكتناو لأسباب سياسية ، حيث نال المنطق و الفلسفة قبولاً و أهمية .

الطبقة الرابعة :

يبدأ هذا العهد من القرن الثاني عشر للهجرة ، و قد قام بتأسيسه الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهلوى (م ١١٦١ھ) بقوه ، عزم و همة . ففاق جميع المناهج و قهر الآباء ، فلم ينافيه منهج آخر ولا يزال يحتفظ بقوته سوى تعديلات بسيطة جرت فيه بمر العصور و يتبع في كثير من المدارس الإسلامية التقليدية في الهند . و قد كان من أهم التعديلات التي أجرأها الشيخ نظام الدين في المنهج الذي اختاره الشيخ ولد الله الدهلوى أنه حذف عدة كتب في موضوع التفسير والحديث وأضاف كتب العلوم الآلية ، و ركز على الفقه و أصوله ، فاكتفى في الحديث بشكاة المصايح ، وفي التفسير بالجلالين والبيضاوى ، إلى آخر سورة البقرة ، حذف المدارك و الكشاف .

وقت هذه الموضوعات في المناهج الدراسية، وتكشف دراسة المناهج في جميع العصور عن أن هذه العلوم كانت تختلء بمنتهى مرموقة في كل عصر، فقد ألف « طب سكندر » جماعة من أطباء الهند وخراسان في عهد سكيندر لودهي ، وكان ملوك المغول متشوقين لهذه العلوم بصفة خاصة ، فكان موجز القانون لأبي علي بن سينا ورسائل مختصرة في الهند و الرياضة جزء من المنهج الدراسي بجانب العلوم العقلية و النفلية و التصوف في عهد الشيخ ولی الله الدهلوی و لما أجرى الشيخ نظام الدين صاحب المنهج النظامي تعديلاً في هذا المنهج أضاف كتاباً جديدة في الهيئة و الرياضي و خلاصة الحساب وأقاييس تشرح الأفلاك قوشيجي ، شرح جعفني .

من إيمان هذا المنهج :

يقول العالمة عبد الحسني و هو يعلق على هذا المنهج : أكبر ميزة لهذا المنهج الدراسي الذي كان متبعاً في الهند ، و الذي مر بعده تعديلات بسيطة حسب مقتضى الوضع . أنه كان يشحذ الذهن و يحدث فكرآ وقادآ و قوة مطالعة عميقه وكانت النتيجة أن كل طالب يدرس هذا المنهج بامان كانت تطور فيه قوة مطالعة و دقة نظر . وقوه امتناج و تحليل فكان في مقدوره بعد دراسة هذا المنهج أن يتحقق الكمال والامان في أي موضوع بجهده و اجتهاده .

و قد ذكر من سمات تدريس الملا نظام الدين أنه لم يكن يركز على كتاب خاص وإنما كان يجعله وسيلة لدراسة الموضوع ، فكان تركيزه على الموضوع لا على الكتاب فأنجح هذا الطريق أمثال ملائكة الدين و العالمة عبد العلي المعروف بحر العلوم و حمد الله ائمه مجتهدين في مواضيعهم (١) .

(١) مقال الشيخ عبد الحسني في مجلة « الدوحة » .

★ البعث الإسلامي ★
ومن أهم الموضوعات التي شغلت علماء الهند فأكثروا التأليف فيها ، التاريخ فقد كانوا شديدي الرغبة في التاريخ و الطبقات السير ، و اشغلاً بهذا الفن أشد اشتغال و صنفووا كتاباً كثيرة بالفارسية و الهندية و بعضهم بالعربية و لا يستطيع أحد أن يخص مصنفاتهم في التاريخ لكنه (١) ، وقد عد الشيخ عبد الحسني في كتابه « الثقافة الإسلامية في الهند » أكثر من أربعين ألفاً مؤلفاً في الموضوع .

التعليم الفني :

اتجهت العناية إلى التعليم الفني في القرن السادس عشر الميلادي و شجع فیروز شاه تغلق نشر التعليم في عهده ، و يقول أبو الفضل إن حوالي مائة مصنع و معمل على شكل مدينة صناعية فتحت في مختلف أنحاء البلاد و ذكر برنيز الرحالة الفرنسي الذي زار الهند في عهد شاهجهان أن قاعات واسعة فسيحة مخصصة للابداع المهني يديرها الفنانون والمحترفون كانت موجودة في عهده وكانت إحداها مخصصة للتطريز وأخراها لصناعة الحل الذهبية ، وكذلك قاعات للرسم والصيغ و الخياطة وصناعة الأحذية و النسيج ، وكانت هناك مصانع رسمية كذلك في ذلك العهد بلاهور و آجرا و قتجبور و أحمد آباد .

الطب و الهندسة :

أما اهتمام الحكم بالطب و الهندسة والعلوم الرياضية . فقد كان معروفاً ، كانت هذه العلوم عميقه الجذور في الهند و بعض هذه العلوم نشأت في الهند وبلاد الفرس و انتقلت إلى بلاد العربية و ترجمت إلى اللغة العربية ، و ركز علماء هذه العلوم بشجع البلاط في جميع العصور على نقلها إلى اللغة الفارسية و العربية ، اللغة الرسمية و شبه الرسمية في الهند ، و أنشئت معاهد خاصة لهذا الموضوع بجانب تحصيص

(١) « الثقافة الإسلامية في الهند » لشيخ عبد الحسني .

نِمَّ إِنْ هَذَا الْمَنْجُ التَّعْلِيمِيُّ كَانَ مَدَارَ النَّشَاطِ الْعُلْمِيِّ ، فَكَانَ يُرْكَ عَلَيْهِ كُلُّ مَتَّلِعٍ وَعَالِمٍ جَمِيعٍ صَلَاحِيَّاتِهِ لِلنَّبُوَّغِ فِيهِ ، وَالسَّبِقُ عَلَى أَفْرَانِهِ ، فَاتَّجَتْ قِرَائِخُ الْعَلَمَاءِ مَا يُسْتَحِقُّ أَنْ يَعْدَ بِعَجَابٍ لَا نَظِيرٍ لَهُ فِي الْفَنُونِ وَالْأَدْبُورِ وَعِلْمَاهَا وَالْهَنْدَسَةِ .
فَكَانَ أَنَّ الْهَنْدَ لَا تَزَالْ تَرْخِرُ بِآيَاتِ مِنَ الْهَنْدَسَةِ وَفَنِ الْبَنَاءِ الَّتِي تَنْطَقُ بِعِقْرِيَّةِ صَنَاعَاهَا وَحَذْقَمِهِمْ فِي فَوْنُومِ تَرْخِرِ الْمَكَتَبَاتِ الْهَنْدِيَّةِ بِمَوْلَفَاتِ تَنْطَقُ بِابْدَاعِ الْعَلَمَاءِ وَعَلَوْ كَعْبَهُمْ فِيهَا ، نَذَكِرُ مِنْهَا بَعْضَ مَوْلَفَاتِ يَنْدَرْ وَجُودُ مِثْلِهِ فِي الْعَالَمِ :
كَانَ فِي بَلْدَةِ لِكَنَاؤِ عَالَمٍ يُعْرَفُ بِالْهَدَادِ ، وَكَانَ لَهُ قَدْمٌ السَّبِقُ فِي الْفَقَهِ وَأَصْوَلِهِ قَابِلِهِ الْمَلاَ عبدُ الْقَادِرِ الْبَدَائِيُّونِيِّ نَفْسُهُ فِي بَلْدَهُ ، فَرَأَى عِنْدَهُ بَعْضَ مَوْلَفَاتِهِ الْعَجِيدَةِ ، كِتَابٌ رَسَمَ فِيهِ عَدَدٌ مِنْ خَطُوطٍ ، بَجْعَلَ مِنْهَا فِي الطَّولِ وَالْعَرْضِ ١٤ سَطْرًا تَتَكَوَّنُ مِنْهَا حَلْقَاتٌ حِيثُ يُمْكِنُ الْقِرَاءَةُ مِنَ الطَّولِ وَالْعَرْضِ وَكُلُّ سَطْرٍ كَانَ فِي عِلْمٍ مُخْتَلِفٍ بِمَحْوِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَلِمًا ، وَكَانَ عِنْدَهُ أَيْضًا كِتَابٌ فِي النَّحْوِ ، كَانَ مِنْ مَزَایَاهُ أَنَّ كُلَّ جَمْلَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ كَانَتْ مَثَلًا لِتَلْكَ القَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ عَلَمَاءَ الْهَنْدَ أَلْفَوُا كِتَابًا إِذَا رَفِعَتْ النَّقْطَةُ مِنَ الْحُرُوفِ ، اخْتَلَفَ مَوْضِعُ الْكِتَابِ ، وَإِذَا قَرِئَ مِنَ الْيَمِينِ اخْتَلَفَ مَوْضِعُهُ ، وَإِذَا قَرِئَ مِنَ الشَّمَالِ اخْتَلَفَ المَوْضِعُ ، وَمِثْلُ هَذِهِ الصُّنْعَةِ أَصْبَحَتْ شَيْئًا عَادِيًّا فِي الْهَنْدَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .

• يَتَّبعُ ،

★ حركة التعليم الإسلامي في الهند ★
البعث الإسلامي
وكان هذا التركيز الخاص على دراسة الموضوع، والجامعة والشمول الذي كان يتميز به ذلك المنهج، يخلق في المتعلّم ملكة خاصة للاستقراء واستخراج المسائل وذهناً حاداً فاهراً، فكانت النتيجة أنّ هذا المنهج كان ينجب جيلاً بعد جيل من الأساتذة وأصحاب القلم، يؤلفون ويشرّحون ويتحققون في مواضعهم المختلفة في كل زمان، فأحفدوا المكتبة الإسلامية ببرورة طائلة من تحقيقاتهم وحققوا للهند الاكتفاء الذاتي، بل تعدى إلى تصدير انتاج قرائحهم إلى خارج الهند في مواضع كثيرة ولم يكن إلا ثمرة لهذا التركيز، ونتيجة قوة الاستنتاج وحدة الذهن أن المتخريجين من هذه المدرسة كانوا يثبتون كفافتهم في كل ميدان يدخلون فيه، فكانوا يطورون فيه صلاحياتهم ويصبحون سائق الرهان، فاحتلوا مراكز عالية من الادارة والتعليم وطبّ وصناعة، وبناء، و الجيش و الارصاد الجوية حتى الموسيقى وقليل من الناس يعرفون أن عبد الرحيم خان خاتان (١) والأمير خسرو كانوا من متخرجي هذه المدرسة، وكانوا من أساتذة الفن والموسيقى والشعر والرمانة وادارة معاً ومسند العالى أبو القاسم عبد العزيز وزير كجرات وجملة الملك سعد الله خان العلامه وزير شاهجهان كانوا من ثمار هذا المنهج الدراسي .
وحيث إن هذا النظام كان موحداً، لا يوجد نظام آخر مواز له، كان يهافت على البراعة فيه مختلف طبقات الشعب و منها الهنداد، فقد روت كتب التاريخ أن الهنداد أيضاً كانوا يتلقون هذه العلوم وبها كانوا ينالون فرص العمل في الجهاز الاداري للحكومة، وكذلك الامراء والملوك والوزراء عند ما يريدون تعليم أولادهم فلم يكن منهج آخر غير هذا المنهج، كما يظهر من المنهج الدراسي الذي تعلم فيه الامبراطور اورنج زيب (١٦١٨ م) و السلطان أن الفاضل المحدث مظفر حليم الكجزي (٥٩٣٢ م) .

(١) نزهة الخواطر، ج ٥، ص ٢١٠ .

المصنفين و ما أتيح لهم من دراسات و ما تهأّل لهم من ثقافات . و بعد العلام أن أحسن مؤلفات السيرة وأصدقها و أبعثها على الطمأنينة و أجنحها إلى الصحة وإتقان للاذاء ، هي المؤلفات التاريخية ، التي صدرت عن المحدثين و أصحاب المسائد ، دون الأخباريين و أصحاب الملاحم .

ومن أعيان المحدثين الذين شاركوا في ميدان السيرة وأحوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، الامام الحافظ أبو عمر يوسف جمال الدين بن عبد البر التزمي القرطبي . و هو من نقلوا في أمصار الأندلس للدرس والرواية و شغلو المناصب الدينية ، و باغوا في الفقه و الحديث و التاريخ و الأنساب و فنون الآداب ، و صدر عنه أحفل الكتب و أعظمها و هي جامعة بين الصحة والأمانة واستيعاب فروع الآداب و الأحوال . و الشواهد في هذه الكتب :

- ١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١) .
- ٢- كتاب المغازى (٢) .
- ٣- الدرر في اختصار المغازى و السير (٣) .

(١) كتاب معروف ذكر في كثير من المصادر طبع بتحقيق على محمد البجاوي ، القاهرة بدون سنة ، حيدر آباد الدكن (الهند) ١٣٠٨ و طبع أيضاً مع الاصابة في تمييز الصحابة ، مصر ١٣٥٨ ، ذكره بروكلمان (٤٥٣: ١) ذيله (٦٢٨: ١) .

(٢) كشف الظنون : ٤٦٠ ، هدية العارفين (٥٠٠: ٢) ، تذكرة الحفاظ (٣: ٣٠٦) .

(٣) بروكلمان (٤٥٤: ١) ذيله (٦٢٨: ١) هدية العارفين (٥٠٠: ٢) نعمته ، و ترك المسلمين على الجالية الواضحة و الشريعة السمحنة المطهرة . وبعد ذلك كشف الظنون : ٧٥٠ ، بغية الملتمس ٤٧٦ ، طبع بمصر بتحقيق شوق ضيف ، مصر ١٣٨٦ .

آثار ابن عبد البر القرطبي

٥٣٦٧ - ٥٤٦٣

الدكتور محمد ظهور الحق

القسم العربي بجامعة إيكراه الإسلامية (الهند)

[الحلقة الثانية]

ابن عبد البر و علم التاريخ :

علم التاريخ من أهم العلوم التي زخرت بها كتب علماء الإسلام و مصنفاته ، و جالت فيها أقلامهم و تنوعت طرائقهم و مباحثهم و مناهجهم ، مما تناولوه من أحداث في الجاهلية و الإسلام و ما وقع للعرب من أيام و حروب ، وما روى حوالها من أشعارها ، و ما كان عندهم من معارف و علوم إلى ذكر أخبار الرسل و الأنبياء و الملوك و تاريخ الدول و الشعوب و أخبار البلدان و تراجم الرجال و نساء المذاهب و المسالك و غير هذا مما لم يقع لغير المسلمين من الأمم .

و كان من أعظم مصنفات التاريخ شأنها و أعظمها خطراً و أعلاها منزلة وأكرمتها موضوعاً و أحلتها أخباراً وأنداناً على القلوب روحها و ذكرها ، الكتب التي تناولت السيرة النبوية على صاحبها أفضل التجبة ، و تحدثت عن حياة محمد عليه السلام من يوم مولده الشريف إلى أن أكمل الله به دينه و أتم رسالته للبشر نعمته ، و ترك المسلمين على الجالية الواضحة و الشريعة السمحنة المطهرة . وبعد ذلك المصنفات التي هي في سير الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

و تختلف المصنفات في السيرة صحة و أصالة و تبيان شرعة و منهاجاً باختلاف

و كان الناس في صدر الاسلام (١) ، يتعلمون الأنساب ، كما يتعلمون الفقه ، فكانوا إذا قصدوا سعيد بن المسيب لتفقهه في المدينة ، قصدوا عبد الله بن شعبة ليأخذوا عنه الأنساب .

و ألف الأسلاف مات من الكتب في الأنساب حتى ذكر على الخاقاني في مقدمة «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ، لأنبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، المتوفى ١٣٧ هـ ٥٨٢ م كتاباً في الأنساب و بين أسماء المؤلفين و وجده مباحثهم عن الأنساب بياناً شافياً ، و غنية المكتبة العربية بهذه المؤلفات في القرون الخالية ، بتدوين الأنساب غالباً كثيراً ، لن نجد مثلها من تراث أية أمة أخرى .
كان عبد الله نسبة ، نقيب الأشراف في الأندلس و عظمته في هذه المسألة تظهر من كتبه الآتية :

- ١- الابناء عن قبائل الرواية (٢) .
- ٢- القصد و الأمم في أنساب العرب و العجم (٣) .
- ٣- كتاب الكبني (٤) .

(١) ابن عبد البر : الابناء ، ص ٤٣ . طرفة الأصحاب (المقدمة) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٣ : ٣٠٦) دائرة المعارف (٣ : ٣٣٣) هدية العارفين

(٣) بروكلمان : ذيله (١ : ٦٢٩) مطبوع تحت مكتبة القدس ، القاهرة . ١٣٥٠ .

(٤) تذكرة الحفاظ (٣ : ٣٠٦) مع تصحيف في الاسم ، و كشف الظنون : ١٣٨ ، بروكلمان : ذيله (١ : ٦٢٩) مطبوع تحت مكتبة القدس ، القاهرة .

(٥) كشف الظنون : ١٤٥٣ ، هدية العارفين (٢ : ٥٥٠) .

تذكرة الحفاظ (٣ : ٣٠٦) .

٤- التعريف بجماعة من فقهاء مالك (١) .

٥- أخبار أئمة الأمصار (٢) في سبعة أجزاء .

٦- اختلاف أصحاب مالك بن أنس (٣) ، في أربعة وعشرين جزماً .

ابن عبد البر و الأنساب :

عن العربي في الجاهلية و الاسلام بأنسابهم حفظوها و رواوها في جاهليتهم ، و دونوها في إسلامهم ، وأصبحت الأنساب لديهم علماً ، له قواعد و فوائد .
في الجاهلية كانت الأنساب بادى ذى بدء تجمع العرب بعضهم إلى بعض ، و تضم شملهم و تشد أزرهم ، وكانت أنسابهم جنة يدفعون بها كثيراً من الأحداث عنهم ، يوم لم يكن لهم دولة تجمعهم و تحميهم ، ثم أصبحت الأنساب آية الشرف ، فلن صفات نسبة ، كان أرفع شرفاً و أكرم محبتاً ، فكانوا يفخرون بأنسابهم و مآثر آبائهم ، و كان يحفظ الصغار منهم الأنساب و يرويها كبارهم .

لم يجعل الاسلام للأنساب ما كان لها من شأن في الجاهلية من حيث المفاخرة بها ، بل الاسلام جعل التقوى مكرمة للإنسان ، فقال الله تعالى في القرآن الكريم : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم (٤) » ، خلت التقوى محل حية الجاهلية و خرها بالأباء ، وأصبح الأكرم هو الأتقي ، ولكن ذلك لم يمنع المسلمين الأوائل من الحفاظ على الأنساب ، خص الرسول عليه السلام على تعلم الأنساب و حفظها ، فقال : «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم (٥) » ، فجعل عليه السلام غاية تعلمها صلة الأرحام ، لا التفاخر بالأنساب .

(١) فؤاد افرايم البستاني : دائرة المعارف (٣ : ٣٣٣) .

(٢) بغية الملتعم : ٤٧٦ . (٣) أيضاً .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٥) عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب (المقدمة) .

و شاء الله سبحانه أن تمنح هذه الدولة المسلمة فرصة أخرى تدرك فيها ما فاتها طوال هذه السنوات .

إنها فرصة الاستدراك و التصحيح ، و الموعظة و الاعتبار .

و هي اختبار لإيمان الشعب الباكستاني و وعيه سواء .

و تحد لصلابته و صموده ، و عماسته .

و نرجو أنها ستثبت جدارتها لقبول هذا التحدى ، والفوز في هذا الاختبار ،
اختبار الذكاء و الإيمان .

حق الله الآمال و أعاد إلى هذه البلاد المتخمة بالجروح . المثقلة بالديون ، عافيتها ، و سلامتها ، و معلوم أن حقنا مضاعف سواء في العتاب أو الدعاء ، بحكم العقيدة و بحكم الجوار .

-٢- حسين الذهبي ، وداعاً .

مات حسين الذهبي ثم بدأ برصاص خائن جبان .

أخذ غلة و حبس ظلماً، و قتل من غير حق .

السيد محمد حسين الذهبي عرفه أهل الهند وأحبوه عند ما نزل ضيفاً على ندوة
العلماء للحضور في هر جانها التاريخي العظيم (نوفمبر عام ١٩٧٠) وحفظوا له مواقف
كريمة و ذكريات حميدة . فكان وقع هذا البناء المحزن عظيماً على نفوسهم بالطبع ،
ـ القسوة النادرة التي عومل بها الفقيد .

١١- أَمْنًا حَالَهُ مَا أَشَدَّ كُفْرَاتِنَا بِكَ وَبِنَعْمَكَ .

· حم الله الذي و أجزل مثوبته ·

الله مصطفى العالم العربي والاسلامي

وَ أَخْذُ الظَّالِمِينَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ .

صور وأوضاع

محمد الحسني

١- الحكم العسكري في باكستان

اتهمت الأزمة السياسية الحادة و الاشتباكات الدموية التي اندلعت نيراما عقب
الانتخابات العامة في باكستان مع خروج الجيش من ذكناهه و تسليه مقاليد الحكم .
وهكذا تسلم الفريقان و انكشف الضباب ، والله جنود السماوات والأرض .

ونرجو من هذا التحرك الذي قام به الجيش في لحظة تمر بها باكستان
وفي ساعة متأخرة بعض الوقت خيراً، فإنه يفتح الأبواب ويهيء الأسباب
لانتخابات حرة عادلة تحت سلطة القانون والعدالة وإشراف الجيش المحايد ووصايتها.

إن المعركة في باكستان لا تدور حول المقاعد وكراسي الحكم والماصب العليا في السلطة فحسب، إنها قبل كل شيء معركة بين المعسكر الإسلامي والمعسكر العلماني، بين شرع الإسلام العادل القويم، وبين الأنظمة الجاهلية المعاصرة و الدساتير الغربية الجائرة .

و لقد كان في استطاعة هذه الدولة الإسلامية الفتية - بحول الله و قوته -
ن تكون نموذجاً رائعاً للحياة الإسلامية والحضارة الإسلامية و منطلقاً واسعاً للنهضة
الإسلامية الجبارة في العصر الحديث إذا توفرت لها القيادة الرشيدة الأمينة من
ول يومها !

و لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله .

فهل في ذلك شبهة أو وسوسه ، أم أنه مرض « الفوبيا » بكتاب الذين يمارسون هذه المهويات و يتعدون هذه الحدود ، و يخافون أنهم سيكونون أول ضحية لهذه الاجرامات و العقوبات .

٥ - تحية و ترحيب .

أفادت الأنباء الواردة من باكستان عن كتابة هذه السطور أن السيد ضياء الحق الحاكم العسكري لباكستان أعلن بتنفيذ قرار قطع اليد ، كا أنه أبدى رغبته الأكيدة في تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد ، و صرخ بأن « صير هذه الدولة مرتبط بالاسلام ». و نحن نرحب بهذه العاطفة القوية وبهذه القفزة الواسعة أحر ترحيب ، كأى مسلم يتمنى عودة الاسلام ، و يترحم على ضياع الانسانية في متاهة الحيرة و الضلال . و إنما المهم أن تسبق هذه الخطوة أو ترافقها على أقل تقدير إصلاحات تقضي على دوافع الفساد والجريمة . . وأكبر هذه الدوافع بلا مراء أفلام العنف و الجريمة و الجنس ، سواء على شاشة التلفزيون أو على مسرح السينما ، و تحقيقات صحافية مثيرة تدفع القارئ الصغير على الجرائم . و تزيفها له كبطولات و مغامرات الرخيصة مثل لبنان ، أو تهافت في حدود الله و تسوّت في تنفيذها مثل مصر و باكستان أو ظلت مذبذبة بين الاشتراكية و الاسلام و بين « لا » و « نعم » مثل ليبيا ، فانك لا ترى هناك - طبعاً - هذا الأمن العاطفي ، و الثقة المتبادلة ، و الشعور بالسلامة على أقل تقدير .

إنها نتيجة إجراء بعض العقوبات .

و إنها بركة شرع السماء ، و هدى القرآن و نورانيته ، قطع يد واحدة تحفظ آلاف الأيدي ، و قتل شخص واحد يحفظ آلاف الأرواح . . و هكذا .

و نرجو أنهم فاعلون !

و لكم في القصاص حياة يا أولى الآلاب ، و على الحكومة أن تتعصب رؤوس الفساد و جذور الفتنة و تصحح الوضع الداخلي بالتعاون مع ذوى الاخلاص و ذوى الآلاب و أهل الغيرة و أهل الفكر . . حتى لا تتكرر هذه المأساة الرهيبة ، و لا تشوه سمعة مصر ، لأنها سمعة الاسلام .

٣ - مرض الفوبيا .

في المملكة العربية السعودية - رغم ما نأخذ عليها بين الحين والحين ، و تتسع اه صدور المسؤولين - حسنان ، أعظمها تنفيذ بعض ما شرع الله به من عقوبات . هذه الحسنة الواحدة و المأثره الواحدة جعلت هذه المملكة محطة أنظار العالم و هوى أقدمة المسلمين و منحتها عافية في الأرواح والأبدان ، و بركة في الأموال و الأرزاق ، و سلامة في العقائد و الأفكار . و صيانة للأعراض و الحرمات و استقراراً في الحياة الاجتماعية و العائلية تغبطها عليها جاراتها و شقيقاتها عن حق ! و تبلور هذه الصورة حين نقارنها بصورة البلد التي كفرت بشرع الله الرخيصة مثل لبنان ، أو تهافت في حدود الله و تسوّت في تنفيذها مثل مصر و باكستان أو ظلت مذبذبة بين الاشتراكية و الاسلام و بين « لا » و « نعم » مثل ليبيا ، فانك لا ترى هناك - طبعاً - هذا الأمن العاطفي ، و الثقة المتبادلة ، و الشعور بالسلامة على أقل تقدير .

و إنها بركة شرع السماء ، و هدى القرآن و نورانيته ، قطع يد واحدة تحفظ

آلاف الأيدي ، و قتل شخص واحد يحفظ آلاف الأرواح . . و هكذا .

فقال يهود الذل منهم ، و دنسوا
بأرجاسهم « قدسآ » عزيزاً مطهراً

و يرهقه عبء الحياة و أسرة
يمحضها الحب النصوح الخيرا
و تحفوه ، لا ترضي بما راشه لها
من المثل العليا ، وفيها جفا الكرى

و مجتمع تتحج فيها ترى به
ألا إنه ضل السبيل و ما درى
هو العرض الزييف الزعاف ، وإنه
يريد لها أن تطلب الحق جوهرا

و لو ملك الأقدار ، ردهه همة
معلقة بالأبخدم الزهر أعصرا
فعاش حياة الخير و البر و التقى
وساد و شاد الوهد والمجد وانبرى

ولكته عان . و ما همة الفنى
تفيد ، إذا ما الأمر حم و قدرا
يعيش وحيداً في طوى يجزل الذرى
و يؤذيه أن يجزئ على البر منكراً

يقولون : صعب ، وهو رحب ، وإنما
تردت موازين الكمال لدى الورى

يمس اتقاد الجر في زفاته
أواماً ، وأن الروح وجداً تسعا
و لولا المرومات التي في نجارة
لما عف عن دنيا و كف و أقصرا

، البقية على ص ١٠٠

في رياض الشعر والأدب :

على عتبات النور

الشاعر عمر بهاء الأميري

[في حومة صراع الناقفات ، الذي يعيشها المذموم اليوم ، وفي مكافحة شدة الحياة و استصلاح
الأولاد ، فله الأكاد ، يivism الروح بمحنة القرابي ، و يعيش ثعور الاتجاه إلى الله ، والشوق
إلى قربه العلوى . . .]

على عتبات النور حر مكبل
رنا من بعيد مشرقاً إلى الذرى

يريد السنى الأعلى مشوفاً بروحه
و إن له في الأرض جذراً مؤزراً

نزع من دفع و جذب : إذا مضى
و أصعد ، ردهه الملمات فقرى

فكم دفعته وثبة الروح لسا
و كم جذبته وطأة الجسم للثرى
يرى في مرارات الجهاد حلاوة
و يحرس في أوصابه انصاب كوثرا

و من عجب يشكو و يشكر عمره
و يحيى غريباً في الصفاء مكـدرـا
بغض بعذب الماء ، يشرق حسرة
على وطر أزرى به الجهل وازدرى

و ينفر في أعمقه جرح قومـهـ
يغى شقـ شقـمـ و تجبراـ

والأوساط الدعوية هنا ، و قد رحب به الناس في كل مكان و استفادوا من توجيهاته و أحاديثه التي ألقياها في مختلف المدن و الولايات الأمريكية .

و من المتوقع أن يعود سماحته - في سلامة الله تعالى - في الأسبوع الأخير من شعبان الجاري (أول الأسبوع من شهر أغسطس) باذن الله تعالى .

★ جماعة التكفير و الهجرة تنشط ببرامجها المدamaة في مصر اغتال زعماء جماعة التكفير والهجرة العالم المؤمن الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف و شئون الأزهر سابقاً ، وذلك أثر اختطافه من منزله بحلوان الذي كان يسكن فيه مع عائلته وأفراد أسرته ، اختطفه أول أيام هذه الجماعة في ليلة الخامس من يونيو ١٩٧٧ م و قتلوه غيلة بالرصاص الذي أطلقوه على رأسه و في عينيه السرى بعد ما اختفوا به في منطقة الأهرام في إحدى فيلات هذه المنطقة .

و قد عثر على البوليس على جشه بعد القتل بساعات طويلة حينما كانوا يحاولون نقلها إلى مكان بعيد من موضع الحادث .

يقولون : إن الشيخ الذهبي كان - كسائر العلماء و الفقهاء - يرى أن جماعة التكفير و الهجرة جماعة إرهابية عقائدتها غير عقائد الجماعة المسلمة وليس عندها من برنامج بناء صحيح تستند إليه .

فلم يكن حادث الخطف والغيلة هذا إلا انتقاماً منه فيما يرى عن هذه الجماعة . و الحق أن هذا الحادث يشير إلى نفسية الاجرام و الإرهاب التي تسم بها هذه الجماعة و النوايا الشريرة التي تعيش في نفوس أفرادها ، و إن خسارة الشيخ الذهبي لن تعوض بسهولة ، و هي ليست خسارة أفراد أو أمراة واحدة أو خسارة مصر وحدها بل إنها خسارة العالم الإسلامي بأسره ، و خسارة العلم والدين والفقه والفتيا ، فقد كان الفقيد على جانب عظيم من العلوم الشرعية والنظرية العلمية الواسعة ،

نشاطات علمية وثقافية

★ نشاطات دعوية في الولايات المتحدة و كندا :

لا يزال سماحة الشيخ أبي الحسن على التدوى في الولايات المتحدة التي وصلها في الأسبوع الأخير من شهر مايو المنصرم للحضور في مؤتمر اتحاد الطلاب المسلمين بأمريكا و كندا الذي عقد في الفترة ما بين ٢٧ - ٣٠ مايو ١٩٧٧ م ، حول موضوع ، الاتقاضة الإسلامية ، متطلباتها و أبعادها .

و بعد ما انهى سماحة الشيخ التدوى من برامج المؤتمر و مداولاته تلقى دعوة من فروع اتحاد الطلاب المسلمين المنبثة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة و كندا لالقاء المحاضرات و الكلمات التوجيهية في مناسبات دعوية خاصةنظمها الاتحاد ،

و من بين الولايات الأمريكية التي زارها سماحة الشيخ التدوى و التقى فيها مجموعة من الشباب المسلم و قضى بينهم وقتاً طويلاً بتوجيهاته الدعوية النافعة و لقائه الإسلامية التربوية ، شيكاغو ، و بيلومنغتون ، و إندياناپولس ، لاوس انجلس ، سان فرانسسكو ، فلاديفيا ، نيويورك ، باتي مور ، وما إلى ذلك من مدن أمريكية و كندية .

و قد نظم له الاتحاد مناسبة توجيهية دعوية في مقر الأمم المتحدة حيث صلى سماحة الشيخ التدوى صلاة الجمعة بالحشد المسلم هناك و ألقى خطبة الجمعة توجيهية ضافية كان لها وقع كبير في نفوس الشباب و سجلت الخطبة ، و نقلت من الشريط بشكل حديث تاريخي عظيم ، ويرجى أن تنشر في رسالة مستقلة ، بذن الله تعالى .

وأفادنا فضيلة الأستاذ محمد الرابع التدوى الذي رافق سماحته في هذه الرحلة بأن زيارة الشيخ التدوى للولايات المتحدة و كندا لها فائدة ملحوظة في الدوائر الإسلامية

البعث الإسلامي ★
 و الأفكار البارزة في المسائل الفقهية والعلمية ، وقد شغل مناصب عديدة ذات
 أهمية كبيرة في مصر والعالم العربي ، حضر في نوفمبر عام ١٩٧٥ م المهرجان
 التعليمي العالمي الذي أقامته ندوة العلماء وشارك مداولاته بمحاضرته القيمة وآرائه
 البارزة التي قدمها في المهرجان ، وله مؤلفات علمية قيمة منها « التفسير والمفسرون »
 الكتاب الذي نال شهرة واسعة و إعجاب الجميع .
 رحم الله الشيخ الذهبي وأتابه ثواب الشهداء والصالحين في جنات النعيم .
 وألهم أدهل العالم الإسلامي كله صبراً و سلواناً .

، بقية المشور على ص ٩٧

فيا يا قلوبأ تسعه ، مد قلبـه
 وقطعـه يغدوك منه ، تبصرـا
 فما اشتـد إلا كـي يشدـك للعلـى
 وعند انـلاج الصـح قد يـحمد السـرى

غداً سـيدوس الروح أـنقاض سـجنـه
 و يـصعد نحو النـور يـلتـمس القرـى
 و تـفتـقد الأـعنـاق - و الدـمـع سـاجـمـه
 أـبا ، و يـبغـض الغـافـلـون تـخـسـرا

و يـا ربـه ربـ القـلـوب و طـبـها
 و يـا جـهـ العـلـوى يـا خـيرـ من يـرـى

أـغـنه و أـشـرقـ في سـدادـ اختـيـارـه
 بـدارـا بـدارـا كـاد يـقـضـى تـحـيرا
 و هـب لـلـحـيـاة الـكـلـ ، فـي عمرـيه مـن
 جـدـاكـ مقـاما دـانـيـ القرـبـ أـنـورـا